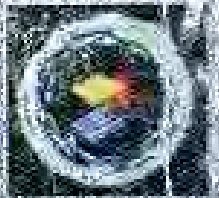
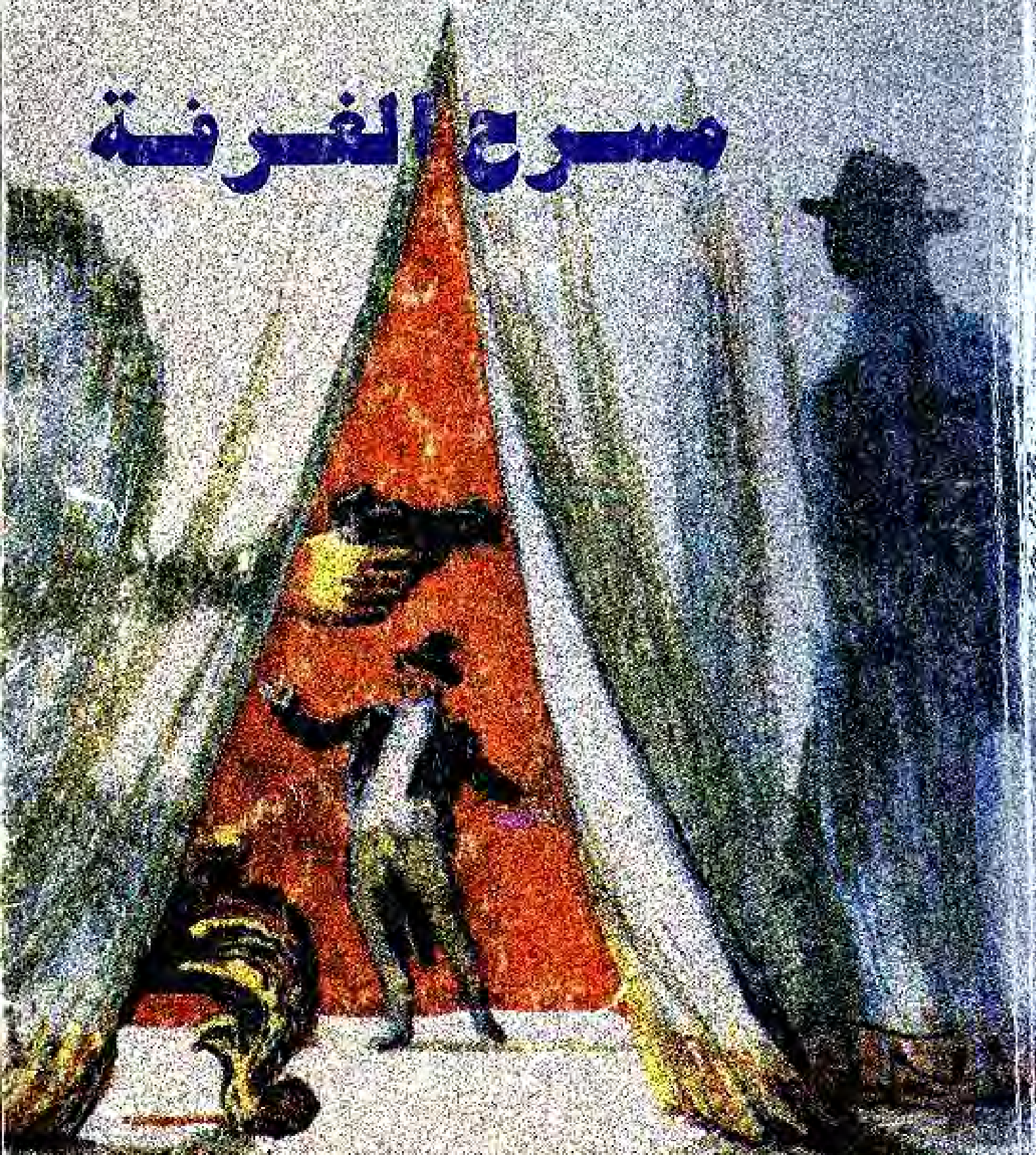


وزارة الثقافة
مهرجان القاهرة الدولي
للمسرح التجريبي



مسرح الغرفة



ترجمة وتقديم د. حمادة إبراهيم

مركز البحوث والترجمة باكاديمية الفنون

تأليف : جان تارديو

منتدی سور الانزبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET



وزارة الثقافة
مهرجان القاهرة الدولي
للمسرح التجريبي



مسرح الغرفة

تأليف : جان تارديو

ترجمة وتقديم د. حمادة إبراهيم

مركز اللغات والترجمة باكاديمية الفنون

تصميم وتنفيذ : آمال صفوت الألفى
مطابع هيئة الآثار المصرية

ترجمة الكتاب عن :

JEAN TARDIEU

Théâtre de chambre

**NOUVELLE ÉDITION
REVUE ET AUGMENTÉE**

nrf

GALLIMARD

كلمة وزير الثقافة

فى تصورى أن قصور أداء أى مؤسسة فنية / ثقافية يجلب على المجتمع ما يسمى «بالديون الاجتماعية» ، بمعنى اهمال الاستثمار فى التنمية البشرية ، فالحياة البشرية تجد مبرر وجودها فى الإبداع ، وكلما ازداد الإبداع غنى كلما كان الفرح أعمق ... والتكرار تسمم يقتل فرحة الحياة ... والمجتمعات قامت من أجل نموها لا لشيء آخر .

الأمر يتعلق بمحاولة اغناء المكان الداخلى الذى تقوم فيه نفوسنا ، والثقافة والفن لا يمكن لنظرة جادة لتنمية مجتمع أن تغفلهما .

ان فرحتنا بالدورة الخامسة لمهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبي هى فرحة تقديم شيء جديد الى العالم ، مجموعة ابداعات من شتى بلاد الدنيا تتابع على مسارح القاهرة ، حيث يستمر فى كل لحظة لدى الجماهير دعم الحيوية وتنمية الذات ، فتزداد الثروة الانسانية وتعلن الفرحة بأن الحياة قد كسبت نصرا جديدا ، ذلك أنه حين يوجد الإبداع توجد الفرحة بالحياة .

فاروق حسنى

كلمة رئيس المهرجان

من مكونات الشرط التاريخي أن الماضي حاضراً فينا شئنا أم أبينا ، وأن كل مُبدع هو جواب عن الإبداعات السابقة ، مستوعبا إياها ، منطلقاً منها في مراجعته لفعل الوجود الانساني ليصوغ الأسئلة ويجتهد في الاجابة عنها ، دون أن يسقط في هيمنة من سبق .

لذا فنحن نغامر باستدعاء كل تلك الابداعات الجديدة من كل الدنيا ، لا لنستنسخها ، بل لنتأمل ما يتعدى الحدود ، ولنبدأ طريقاً جديداً في التعامل مع العالم من حولنا ، اننا نوسع تلك الابداعات ونغنيها ونتمثلها ، ونغني بها في الوقت ذاته حقل الابداع في المسرح المصري ، ليصل إلى نتائج جديدة ، ويكتشف لغة جديدة ورؤية جديدة في الوجود ، ويغير لغة الحسم في الفن . اننا في الفن خاصة نحتاج دائماً إلى «المعرفة» ، وأيضاً إلى ذات «عارفة» ، في مقابل «معرفة» العقول الآلية الحافظة المبرمجة والتي «لا ذات بشرية» لها .

نحن نؤمن أن من لا يتقدم يتراجع ، وخيارنا المبدئي هو التقدم ، وعلينا أن نشحذ كل قوى الابداع ونتجاوز الوهم والمأزق معا .

أ.د. / فوزى فهمي

مقدمة بقلم المترجم

كان مولد «جان تارديو» عام ١٩٠٣ ، أى قبل كل من بيكيت وأداموف وجينيه ويونسكو^(١) الذين يمثلون رياعى مسرح الطليعة أو اللامعقول أو مسرح العبث الذى غزا مسارح العالم منذ مطلع النصف الثانى من هذا القرن .

وكما كان سابقا فى المولد ، كان تارديو ، وهو الأهم ، سابقا فى الإنتاج على جميع هؤلاء الرواد . فهو يعدّ بحق ، وبشهادة النقاد رائدا للرواد .

ولقد صدرت الكتب العديدة باللغة الفرنسية التى تناولت «جان تارديو» بالدراسة والنقد ، إلا أن كل ذلك لم يؤفّه حقه من التعريف ومن الإلتشار وبخاصة فى مجال المسرح ، لأن «تارديو» ليس كاتباً مسرحياً وحسب ، بل هو شاعر مبدع وناقد فنى ومسرحى متميز .

ونستطيع أن نؤكد ، أنه حتى كتابة هذه السطور ، لم يطلع القارئ العربى على عمل مسرحى أو نقدى أو حتى قصيدة شعرية من الإنتاج المتنوع لهذا الكاتب مع ما تتميز به بعض أعماله الإبداعية من القصر ، بحيث إن بعض مسرحياته لا تتجاوز الصفحات المعدودات ، وبالرغم من أنه بدأ ينشر منذ عام ١٩٤٧ . يستثنى من هذا الحكم بعض الأعمال القليلة التى قدمناها من خلال البرنامج الثانى فى الاذاعة نذكر منها مسرحية «شباك التذاكر» .

هذا الاستثناء لا يمنع أن الأمر يتعلق بتقديم كاتب جديد على العالم العربى ، وهى مسئولية يزيد من خطورتها أن الكاتب الذى نتصدى له كاتب مبدع مجدد بكل ما تحمل الكلمة من أبعاد وبخاصة فى مجال المسرح ، فهو لا يعترف بالمسرح التقليدى ، بل هو يجد متعة كبرى فى تعرية قوانين المسرح التقليدية والهزء بها ، فهو ، إذا جاز هذا التعبير ، يسخر فن المسرح لهدم القوالب المسرحية العتيقة .

وإذا كان مثل هذا الموقف من المسرح التقليدى قد اشتهر عن كاتب آخر هويونسكو فان مؤلف المغنية الصلعاء حينما سار قدما فى الكتابة وخطا فيها خطوات واسعة إعتترف من خلال انتاجه بنوع من التوازن أو الموازنة بين القديم والحديث ، إلا أن «جان تارديو» لم يتزحزح قيد أنملة عن المطالبة بكامل الحرية للكاتب المسرحى فى التخلص من كل آثار الماضى البائد بأعرافه وتقاليده .

ومن ناحية أخرى فإن إدراج اسم «تارديو» ضمن كتاب العيب أو اللامعقول لم يكن إلا نوعاً من التيسير على النقد والنقاد . ذلك أن تارديو لم يقبل الانتساب إلى هذه الموجة ، أو لم يذعن لذلك بمعنى أصح إلا نوعاً من باب التحوط ، وذلك لكى يكسر جدار العزلة من جهة ، ثم لكى يساند موجة الحداثة والتجديد فى المسرح الفرنسى خاصة والمسرح العالمى بوجه عام .

حداثة إذن فيما يختص بالمسرح التقليدى ، ثم حداثة أيضاً فيما يختص بالمسرح المعاصر . هذه الازدواجية فى الحداثة تضع الناقد فى طريق مسدود إذا أراد أن يطبق على «تارديو» المقاييس التقليدية الشكلية أو حتى المقاييس المعاصرة التى أصبحت معروفة منذ سنوات عديدة . ومما يضاعف من مهمة الناقد أن «تارديو» لا يقترح طريقاً ثالثة للمسرح بقدر ما يقترح سلسلة من الاتجاهات المختلفة المتنوعة . زيادة على ذلك فهو يفرض على الناقد الذى يتصدى له أن يتابعه ويقتفى أثره فى مختلف المراحل التى تمر بها عملياته الجريئة وابداعاته التى لم تكن فى حسابان الناقد .

يضاف إلى ذلك كله أنه ما أن يبدأ الناقد عمله حتى يفاجأ بأنه أمام أستاذ فى النقد الفنى والمسرحى له من الآراء والتحليلات ما هو جدير بأن يثبّط همه الناقد ويقعده عن المتابعة .

كما أنه من العسير أن يقدم الناقد على تحليل «تارديو» عن طريق الشرح والتفسير الذى يفسد كل شئ جرياً على أبيات «فاليرى» الشهيرة :

«إن التوضيح يفسد ثلاثة أرباع المتعة الفنية ، خاصة في مجال البنية العضوية والشعرية للعرض المسرحي»

ويزيد مهمة الناقد عسرا أنه لا يجد أمامه أعمالا ضخمة يصلح فيها ويجول وإنما يصـف إنتاجا مسرحيا غاية في التقشف من ناحية الوسائل الفنية وأدوات التعبير .

وأخيرا هناك حقيقة مهمة تزيد من حيرة الناقد خاصة إذا أراد الاعتماد على العروض المسرحية وطرائق إخراجها . فهو لا يستطيع أن يحصر عروض مسرحيات «تارديو» في عدد محدد من البلدان عن طريق فرق محترفة ، ذلك لأن من المستحيل ، على الأقل في الوقت الحاضر ، حصر الفرق المسرحية التي قدمت عروضاً لمسرحيات «تارديو» في العالم ، فهي كثيرة ، وكثير منها تم دون علم المؤلف نفسه . وكثير من هذا الكثير قامت به فرق من الهواة شجعها على ذلك نوعية الأعمال التي يكتبها «تارديو» ، ثم بساطة التكاليف اللازمة لعروضها على المسرح .

يأتى بعد ذلك كله صعوبة الصعوبات وهي الترجمة ، وبخاصة للمسرحيات التي تعالج أساليب بلاغية خاصة باللغة الأم وهي الفرنسية ، أو تعتمد فكرتها على أستعمالات اللغة الدارجة التي تفقد قيمتها بالترجمة .

بالرغم من كل ما تقدم وجدنا أنه لا بد من خوض هذه التجربة . وقد شجعنا على ذلك المسئولون قبل أن يتكرر ما حدث مع أعمال «الفريد جاي»^(٢) التي لم تترجم إلى العربية إلا بعد مرور قرن من الزمان على الطبعة الفرنسية .

هذه المقدمة كانت ضرورية لنضع القارئ أمام ضخامة هذه الأعمال التي يقرأها بالعربية لأول مرة ، وأيضا ليجد لنا العذر إذا كانت العمومية هي التي أثرتها في تقديم هذا الكاتب لأول مرة .

النشأة الفنية : بين التصوير والموسيقى :

ولد «جان تارديو» كما أشرنا في نوفمبر عام ١٩٠٣ ، قبل كل من بيكيت ويونسكو وجينيه وآداموف ، من أب مصور وأم موسيقية . كانت سنوات عمره الأولى كما يقول بنفسه «فترة متميزة تبشر بكل شيء» . فماذا سيصبح في مستقبل حياته ؟ هل سيصبح موسيقيا مثل أمه ؟

أم مصورا مثل أبيه ؟ كان من الطبيعي أن والديه كانا موهوبين كل فى تخصصه . كان أبوه ، خريج مدرسة الفنون الجميلة ، قد ذاع صيته بوصفه مصورا ومهندسا للديكور . وقد قام بتأسيس مدرسة الفنون الجميلة فى مدينة «هانوى» حيث ظل هناك حتى وافته المنية . وقد عرف عن الابن جان أنه كان مفتونا بوالده . وقد صرح بذلك بنفسه مؤخرا فى مناسبة إقامة معرض للوحات والده حيث يقول :

«إن افئنانى بفن التصوير يرجع إلى سنوات عمرى الأولى . حينما كنت أشاهد والدى يصور ويرسم . كنت أعتقد أننى أشاهد معجزة تتحقق أمام عيني . كان القلم أو الريشة يبدوان كأنهما يفجران الصور التى كانت تبدو كأنها موجودة مسبقا فوق اللوحة البيضاء . كأن ظهورها الغامض فى بادئ الأمر والذى يتضح بعد ذلك شيئا فشيئا ، لا علاقة بينه وبين حركات اليد التى ترسم . كأن هذه اليد لم تفعل شيئا إلا أنها أخرجت هذه الصور من العدم بعملية سحرية . (٣)

وهكذا فقد كان «جان تارديو» متأثرا إلى حد بعيد بوالده الذى علمه «الحقيقة المختفية لفن التصوير» (٤) .

أما عن والدته تارديو ، (كارولين لويديجيني) فقد كانت من أصل إيطالى ، تنحدر من أسرة موسيقية معروفة . إنتقل جدها الأكبر للأقامة فى فرنسا عام ١٩٤٠ ، وقد أهتم بتنشئة ابنه تنشئة موسيقية ، فأصبح فى عام ١٨٨٠ قائد أوركسترا ومؤلفا موسيقيا كبيرا ، نذكر من بين مؤلفاته «البالية المصرية» الذى كتبه إفتتاحية لأوبرا عايدة التى وضعها الموسيقار «فيردى» بمناسبة افتتاح قناة السويس وقد لاقت هذه الإفتتاحية نجاحا كبيرا ، بعد ذلك تم تعيينه مديرا لأوبرا ليون عام ١٨٧٠ ثم تولى إدارة فرقة «الأوبرا كوميك» فى باريس . أما إبنته «كارولين» والدته كاتبتا تارديو ، فقد أصبحت أستاذة متخصصة فى القيثارة أو آلة «الهارب» ثم شغلت أثناء الحرب وظيفة محترمة بمعهد الكونسرفتوار فى باريس .

وهكذا عاش «تارديو» على حد تعبيره من سن العاشرة حتى الرابعة عشرة من عمره «غارقا فى الموسيقى» وقد تعلم السولفيج والبيانو .

غير أن عصبية أمه بسبب إرهاقها فى العمل ، وغياب والده ، حالا دون تقدمه فى تعلم هذا الفن الأثير إلى نفسه واستمراره فيه .

الشعر والمسرح :

وهاهو ذا «تارديو» فى مفترق الطرق ، وعليه أن يحدد هدفه فى الحياة . إن بمقدوره أن ينافس أمه أو أباه ويكوّن اسما وشهرة فى عالم الموسيقى أو فى عالم التصوير . ولكنه أراد أن يصعد نجمه محتفظا بشخصيته على حد تعبير المؤرخ ميشليه Michelet وهو كاتب أثير إلى قلب تارديو . لذلك اختار كاتبنا طريقا ثالثا غير الموسيقى والتصوير . لقد كان الأدب ، وينوع خاص الشعر والمسرح ، هو المجال الذى يستطيع فيه أن يحقق ذاته ويتغلب فيه فى الوقت نفسه على الطغيان الفنى الذى يمارسه الوالدان كل فى مجال تخصصه .

يقول «تارديو» فى تحليل تلك الفترة من حياته :

«منذ تلك الفترة البعيدة ، كنت أشعر بنوع من الغيرة العاطفية تجاه أسرار التصوير وسلطان الموسيقى ، هذين الفئتين اللذين كانا يبدوان لى وكأنهما حكر مقصور على والدى والدة . كان هذان السحران أليفين إلى نفسى غريبين عنها فى وقت واحد . وكان علىّ أن أبحث لى عن ثالث يكون ميدانى أنا ، فوجدت أمامى اللغة والباب الثالث إلى المعجزة ، الملاذ الثالث ضد الرمادية والرتابة» (٥) .

ولم يصادف كاتبنا أى اعتراض فى الأسرة . فقد كان أبواه أيضا قارئين ممتازين ولهما مكتبة أدبية ضخمة . وكانت «الكلمة» تفتن تارديو ، مع أنها كانت فى نظره أقل حظوة من الصوت (الموسيقى) ومن اللمسة المضيلة (التصوير) وهما أداتا التعبير عند والده والدة .

لقد تفتحت عند «تارديو» موهبة الكتابة المسرحية مبكرا ، حيث كتب أول محاولة مسرحية له فى سن الثانية عشرة على غرار مسرحية موليير المعروفة «طبيب رغم أنفه» ، وذلك فى شكل بعض الحوادث التى أسماها «المعلم رغم أنفه» . كما أنه كتب الشعر فى سنى مراهقته . ومع ذلك لم يحاول أن ينشر شيئا قبل عام ١٩٣٣ ، حيث أصدر ديوانا بعنوان «النهر المختفى» (٦) أتبعه بآخر بعنوان «رؤى من المدينة» (٧) ، وذلك فى ذكرى وفاة والده فى صيف عام ١٩٣٧/١٩٣٨ . ثم نشر ديوانا ثالثا بعنوان «الآلهة المختنقة» (٨) عام ١٩٤٦ بعد تحرير فرنسا . وكان قبل ذلك قد كتب ديوانين «رعد بلا عاصفة أو الآلهة العقيمة» (٩) و«الأشجار والرجال» (١٠) وهى مجموعة من الحوادث الشعرية ضمنها فيما بعد الجزء الثانى من أعماله المسرحية بعنوان «قصائد للتمثيل» .

وبذلك بدأ «تارديو» يتوجه ولو بطيئا نحو المسرح . وقد تأكد ذلك عندما شرع فى عام ١٩٤٤ يعد قصة «فولتير» الشهيرة «كانديد» إعدادا دراميا للإذاعة ، كما وافق على أن يتولى تحرير باب المسرح فى الجريدة اليومية «العمل» وكان قبل ذلك قد لمع بوصفه ناقدا فنيا حينما كتب دراسة بارعة عن المصور «بوسان» (١٢) عام ١٩٤١ .

بعد ذلك بدأ يتعاون مع جريدة «الآداب الفرنسية» (١٣) وجريدة «شرف الشعراء» (١٤) كما صار صديقا حميما لكل من الشعارين إيلووار (١٥) وراجون (١٦) والكاتب ألبير كامو (١٧) ولم يلبث أن عرض عليه منصب رئيس فرع الدراما بالإذاعة ذلك المنصب الذى ظل يشغله عاما كاملا ثم أصبح مديرا لنادى التجارب (١٨) ومركز الدراسات (١٩) فى هيئة الإذاعة والتليفزيون الفرنسية ، وأخيرا قام بتأسيس وإدارة البرامج الإذاعية فى محطة موسيقى فرنسا (٢٠) .

وفى عام ١٩٤٦ نشر «تارديو» كتابا بعنوان «شيطان اللاواقع» (٢١) وفيه يتساءل «تارديو» عن الفراغ المسرحى والمجال المسرحى اللذين سيحاول أن يبني فيهما الحياة فيما بعد من خلال مسرحياته . كما يعرض فى هذا الكتاب لفكرة الأرقام ، ويعبر عن إفتنانه بها . وهو ما سيمثل فيما بعد الموضوع الرئيسى لمسرحيته الشهيرة «ألف باء حياتنا» (٢٢) كذلك نجد فى الكتاب قصيدتين تعدان أول خطوة نحو مسرح موسيقى ونحو شكل مبدئى للقصيدة الدرامية بعنوان «الآلهة العقيمة» (٢٣) التى سبق ذكرها .

وفى عام ١٩٤٧ تأكد أن «تارديو» مستعد لخوض معركة المسرح ، فقد كتب فى ذلك العام مسرحياته القصيرة الأولى التى استهل بها مجموعته «مسرح الغرفة» (٢٤) أو المسرح التجريبى : (من هناك ؟ (٢٥) الأدب العقيم (٢٦)) واكملها عام ١٩٤٨ بـ «قدس الليل» (٢٧) ومنذ ذلك الوقت كرس «تارديو» جل اهتمامه للمسرح ، فقد كتب «الأستاذ أنا» (٢٨) عام ١٩٥٠ ، وكلمة مكان كلمة (٢٩) التى حققت نجاحا كبيرا عام ١٩٥١ ، وفى العام نفسه كتب مسرحية «أوزوالد وزينايد» (٣٠) ومنذ عام ١٩٥١ عرض له المخرج «ميشيل رى» المسرحيات التالية : فاوست ويوريك (٣١) ، يوجد جمهور غفير فى القصر (٣٢) ، حركة مكان حركة (٣٣) وهى من المسرحيات الهزلية التى تشكل مجموعة مسرح الغرفة .

وفى العام التالى وبالتحديد فى ٢٢ إبريل قدم مسرح لانكرى (Lancry) أول مسرحية طويلة لجان تارديو وهى مسرحية «عشاق المترو» (٢٤) . وفى نوفمبر قدم مسرحية بعنوان «هم فقط يعرفون الموضوع» (٣٥) وفى عام ١٩٥٥ قدم «تارديو» مسرحية موسيقية على

مسرح الهوشيت بعنوان «السوناتا والرجال الثلاثة»، (٣٦) ومسرحية «المقتراس»، (٣٧) وقد أكمل هذان النصان مجموعة مسرح الغرفة التي أصدرها الناشر جاليمار آخر العام نفسه . بعد ذلك عرض مسرحية «عصور الكلمة»، (٣٨) وهي المسرحية الكبيرة الثانية في مجموعة قصائد التمثيل . وفي عام ١٩٥٦ عرض على مسرح الهوشيت مسرحية «صوت بلا إنسان»، (٣٩) بعد ذلك بعامين كتب «تارديو» مسرحيته الكبرى «ألف باء حياتنا»، (٤٠) التي لم تعرض إلا في عام ١٩٥٩ على مسرح الأليانس فرنسيز .

بعد هذا العقد الغزير بالانتاج المسرحي ، عاد «تارديو» إلى هوايته القديمة بالنقد الفني فنشر في عام ١٩٦٠ كتابا بعنوان «حول التصوير التجريدي»، (٤١) وفيه يجلى بعض آرائه في فن الكتابة المسرحية ، كما نشر مجموعة من الدراسات التي جمعها بعد ذلك في كتاب آخر بعنوان «أبواب اللوحة» ، (٤٢) وقد كتب في تلك الأثناء التي أهتم خلالها بالتصوير كوميديا بعنوان «ثلاثة شخوص داخلون في لوحات»، (٤٣) .

ومنذ أن ترك «تارديو» وظيفته في هيئة الإذاعة والتلفزيون عام ١٩٦٩ أصبح لديه الوقت لإعادة النظر في إنتاجه وإثرائه .

ففي عام ١٩٧٢ نشر مجموعة من المقالات الفنية بعنوان «نصيب الظل»، (٤٤) ثم «ظلمة النهار»، (٤٥) عام ١٩٧٤ .

وفي عام ١٩٧٥ صدر الجزء الثالث من مسرحياته بعنوان «سهرة في الريف» أو الكلمة والصراخ (٤٦) .

أما الجزء الرابع فكان بعنوان «مدينة بلا نعاس ومسرحيات أخرى»، ١٩٨٤ .

المسرح التجريبي :

يعد «تارديو» متخصصا في المسرحيات الطليعية ذات الفصل الواحد . وقد أسهم مسرحه في مولد المسرح الطليعي كما قدمت مسرحياته على مسارح العالم التجريبية .

والحقيقة أن مسرح «تارديو» في معظمه من النوع التجريبي أو المختبري ، وهو نفسه يعلق على هذه الحقيقة في تقديمه لمسرحياته محددًا هدفه من ولوج هذا الفن بأنه : «معالجة

المسرح من خلال وسائله ، لا من خلال أغراضه وأهدافه، و «الاهتمام بقضايا المنصة أكثر من الاهتمام بموضوعات المسرحيات» .

وقد حاول «تارديو» في البداية أن يصنف هذه المحاولات وهذه التجارب تصنيفاً فتوياً مثل «كوميديا اللغة» و «كوميديا الكوميديا» و «المونولوجات والحوارات» و «الحلم والكابوس» وذلك مع إعطاء كل مسرحية عنواناً ثانوياً مثل «تعسف الألفاظ» و «تعسف الاستخدامات» و «كوميديا الدراما البرجوازية» و «المنصة الخالية» و «رقصة الموت» .

ويقول تارديو في هذا الصدد : « لقد حاولت بهذه البحوث أن أكشف عن أسرار ذلك الجهاز الضخم ، المادى والمعنوى ، الذى يسمى المسرح فى أشكاله البالية وامكانياته المستقبلية» .

وكان ميل تارديو إلى المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد أمراً طبيعياً ، فهذه المسرحيات هى التى تتلاءم مع هذه الأهداف التجريبية .

كذلك يعد «تارديو» مؤسساً للمسرح التجريبى الإذاعى . وقد كان له دور كبير فى تطوير الوسائل الفنية الخاصة بالدراما الصوتية أو التى يعتمد فيها التلقى على عنصر السماع دون عنصر المشاهدة .

وبصفة عامة تنقسم مسرحيات «تارديو» إلى نوعين : «مسرحيات السخرية» و «مسرحيات الجزع» . أما الأولى فهى تسخر من مواقف الحياة اليومية كما فى مسرحية «شركة أبوللو أو كيف نتحدث عن الفن» (٤٧) ومسرحية «عشاق المترو» (٣٤) وأغلب هذا النوع من المسرحيات يهدف إلى السخرية من أشكال المسرح التقليدى ومكوناته مثل الحوار المصنوع والتجنيبات أو التحدث على إنفراد ، والمسرح الواقعى حيث الشخصون يتحدثون فيما بينها ولا تهتم بالمشاهدين الذين لا يعرفون بالضبط عما يتحدثون كما يحدث فى مسرحية «هم وحدهم يعرفون الموضوع» (٣٥) .

أما النوع الثانى من مسرحيات «تارديو» والتى أطلق عليها «مسرحيات الجزع» فهى تكشف من خلال حادث عارض مضحك فى ظاهره عن وضع الإنسان المزرى فى عالم يعتقد أنه لم يخلق له . ويشيع فى هذه المسرحيات نوع من عقدة الذنب يشعر بها الإنسان دون سبب واضح . كما يحدث فى مسرحية «السيد أنا» (٢٨) ومسرحية «شباك التذاكر» أو يسود أحساس بوجود عدو لا يرحم ولا يتورع عن قتل من يصادفه مثل مسرحية «من هناك» (٢٥) . . ومسرحية «قطعة الأثاث» (٤٨) .

والحقيقة أن الموت عند «تارديو» ليس النهاية التي ينتظرها أبطال «بيكيت» من الصعاليك لكي يرتاحوا من عبء الحياة ، بل هو نوع من الفناء أو الصمت الأخير الذى يتهددنا فى كل حين ولاسبيل إلى الإفلات منه . وهو فى ذلك يقترب من الموت عند «يونسكو» . فهذا البطل فى مسرحية «المتراس» (٣٧) يتلصص ليشاهد فتاة أحلامه من ثقب الباب وهى تتجرد من ملابسها قطعة قطعة ثم تنزع جلدها كله لتظهر فى النهاية فى صورة الموت مجسدا . ويبلغ الجزع ذروته حينما لا يحاول العاشق ان يهرب من هذا المشهد الفظيع ، وانما نسمعه يصيح مخاطبا الموت أو فتاة أحلامه قائلا : أنا قادم حالا يا امل حياتى ، يا غرامى الوحيد ، .

أما مسرحية « صوت بلا انسان » (٣٩) فهى تذكرنا بمسرحيات بيكيت وبخاصة « الشريط الاخير » (٤٩) و « الرماد » (٥٠) . ففي مسرحية تارديو هذه تطالعنا منصة التمثيل خالية إلا من بعض الاضواء التى تتشكل وتتبدل ، وصوت بشرى يصلنا من خلفيات المسرح يدوى بذكرىات الماضى .

هذا الجزع تنقله لنا مسرحية « معنى الكلام » (٥١) على الصعيد اللغوى . فهذا استاذ جامعى يحاضر فى موضوع التحولات اللغوية داخل الجماعات البشرية ويحاول ان يستعين باسطوانه مسجلة ليعرض نماذج من هذه التحولات على المستمعين . غير ان الاسطوانه لا تلبث أن تستقل بذاتها وتأخذ فى توجيه السباب والشتم الى الأستاذ الذى لا يلبث هو نفسه ، وهو العالم اللغوى المتخصص ، أن يصاب بالسفسطة اللغوية التى كان يهاجمها قبل قليل فى محاضراته والتى اصبحت السمة الغالبة فى الاتصال والمفاهمة بين الناس ، إن لم تكن السمة الوحيدة . وهكذا ، فكما آلت الحياة الى الصمت تؤول اللغة إلى المصير نفسه .

إن اعمال « تارديو » المسرحية هى فى المقام الأول تجارب مسرحية كما أن بعضها يتضمن مستوى راقيا من الشاعرية . وليس فى هذا الحكم تقليل من مكانة هذا الكاتب الفنية وعطائه الضخم فى مجال المسرح المعاصر ، بل على العكس ، فان فى ذلك تأكيدا على ضخامة هذا العطاء . وفى ذلك يقول الناقد « مارتن أسلان » :

«لقد فتح تارديو الباب أمام زملائه من المسرحيين عن طريق إثراء مفردات هذا الفن . إنه الوحيد من بين جميع كتاب مسرح الطليعة الذى يستطيع أن يؤكد أنه طرق أكبر عدد من التجارب وورد أكبر قدر من الكشف . إن مسرحه يجمع بين شاعرية «جورج شحادة» وعبثية «يونسكو» الساخرة وعوالم «آداموف» و«جان جينيه» الكابوسية . (٥٢)

إن «جان تارديو» فى تنقله بين الشاعرية المزهفة والفكاهة المسرفة ، لا ينفك يدهشنا ويفاجئنا بحيله ووسائله المتعددة التى بالرغم من كثرتها وغازاتها إلا أننا نجد أنفسنا أمام إنسان واحد هو «جان تارديو» الذى يضحك أو يبكى من الكروب ذاتها ومن الأشجان ذاتها .

التنظير للمسرح :

كان التحاق تارديو للعمل فى تحرير باب المسرح فى الصحيفة اليومية (العمل) من سبتمبر عام ١٩٤٢ حتى يونيو ١٩٤٧ فترة مهمة فى تاريخ النقد المسرحى الذى كسب ناقدًا يحمل زادا ضخما من الثقافة الفنية اللازمة لهذه المهمة من ناحية . كما أنه كاتب يتأهب ليفجر طاقات الإبداع عنده ، ذلك إذا أخذنا فى الاعتبار أن «تاردو» فى تلك الفترة المشار إليها ، إذا كان قد كتب بعض المحاولات المسرحية فإنه لم يكن عرضها بعد . من هنا جاءت أهمية المقالات التى كتبها فى تلك الفترة ، فهى لم تكن مجرد تقارير عن العروض المسرحية وإنما كانت دراسات وتحليلات وتأملات واعية يقوم بها كما أسلفنا إنسان يجمع بين الحس الفنى ومملكة الإبداع .

والمتمعن لهذه المقالات يدرك أن كاتبنا لم يكن بصفة عامة راضيا عن الحركة المسرحية فى ذلك الوقت ، ويمكن أن نوجز مأخذة عليها فى النقاط التالية :

سجل تارديو رفضه للموجة التى كانت شائعة فى تلك الفترة عند عدد كبير من كتاب المسرح الذين دأبو على العودة إلى تراث الماضى وبخاصة التراث الأغريقى فيعيدون عرض المسرحيات أو الموضوعات الكبرى المشهورة ويكتبون على منوالها . وفى إحدى المقالات أعلن «تارديو» عن دهشته البالغة من ضخامة عدد المسرحيات الكلاسيكية أو ذات الموضوعات الكلاسيكية التى تم عرضها فى تلك الفترة . وقد سجل رفضه لمثل هذه العروض ، خاصة وأن المسرح يعانى من فصل تام بين نوعيات العروض المقدمة وبين واقع الناس المعاش ، وأن اللجوء إلى المسرحيات القديمة يزيد من حدة هذه الأزمة لأنها كلها عروض تقع أحداثها خارج نطاق العصر الذى نعيشه وخارج حدود المجتمع الذى نعيشه .

ورفض «تارديو» التعليل الذى يقول بأن اللجوء إلى مثل هذه الموضوعات القديمة هو بمثابة نوع من الهرب بالنسبة للكاتب والمتفرج ، معلنا أن المسرح فى جوهره هو نقىض

الهرب . فواجب المسرح أن يشغل الناس باهتماماتهم «وأن يجعلنا ننغمس في حقيقة كياننا ، وكياننا مائل في عصرنا وزماننا،

ويرى «تارديو» أن المسرح الحق ، ينبغي أن يكون إنعكاسا للقوى الكبرى التي تتخذ من الإنسان مجالا لصراعاتها مع بقائها ملتصقة بالعصر . كما أخذ على هذه المسرحيات القديمة أو المقلدة لها ضعفا في المعطيات الدرامية ، كما عاب على شخوصها ما يسمهم من الجمود وعدم التطور .

ومن ناحية أخرى شجع «تارديو» على التجديد واطلاق الخيال ، وحيًا ما كان قد بدأه «جان جيردو»^(٥٣) من تطوير عميق لفن المسرح . كما عبّر عن إعجابه بمسرحيات «سالاكرو»^(٥٤) وأثنى على أثر «بيراندللو»^(٥٥) في المسرح الفرنسي وبخاصة مزج الواقع بالخيال والجد بالهزل وسبر أغوار النفس البشرية .

وكان لابد أن يهاجم «تارديو» المسارح التي لا تسعى إلا وراء الكسب المادي ضاربة عرض الحائط بالقيم الفنية وضروريات الحداثة والتجديد ، مما يجعل القائمين عليها لا يتورعون عن تسخير كل الوسائل الرخيصة لتعلق الغرائز الدنيا عند المتفرج الساذج .

أما الهدف الثاني الذي كان يسعى «تارديو» إلى تحقيقه في عالم المسرح ، فهو إمكانية خلق «تراجيديا جديدة» فقد ذكر هذه العبارة مرارا في عدة مقالات . وجاء عرض مسرحية لوركا الشهيرة «بيت برناردا»^(٥٦) فرصة أمام «تارديو» ليعبر عن إعجابه بهذه المسرحية وكتبها ويشير إلى عودة ظهور الحتمية التراجيديات في هذه المسرحية وتجاوز الواقعية المقصورة سعيا وراء آفاق أرحب لسبر عظمة الإنسان . كما أثنى في هذا الصدد على المعطيات الدرامية في هذه المسرحية .

وعلى صعيد اللغة المسرحية التي بدأت تشيع في الأعمال المسرحية ، وبمناسبة عروض موسم ١٩٤٧ الذي شهد كلاً من جيردو «بوللو مارساك»^(٥٧) ، و«جان جينييه» «الخادمتان»^(٥٨) وأودبيرتي «الشريشري»^(٥٩) حياً «تارديو» عودة المسرح إلى «قوة اللغة» وسحر الكلمات . كما أثنى على تنقل هذا المسرح بين مستويات اللغة المختلفة ، فمن المادية إلى التجريدية ومن السوقية إلى النبل على شاكلة التضاد في فن التصوير .

وأخيرا يأتي دور الاخراج في اهتمامات تارديو وطموحاته لبعث المسرح الفرنسي من حالة الركود التي كان عليها . فقد دعا الكتاب الى تسخير سائر الوسائل التعبيرية في المسرح

وجدد الدعوة إلى اعتناق آراء «أرتو» (٦٠) في الإخراج واللجوء إلى اللغات المسرحية غير الكلامية من حركة وإيماء وغناء .

المسرح ضد المسرح :

ويبدو أن «تارديو» الكاتب المسرحى لم يستطع أن يتخلص من هواجسه وهمومه الخاصة بهذا الفن فقد أستمريت هذه الهواجس والهموم حتى بعد أن بدأ «تارديو» يكتب مسرحياته الأولى . كل ما هناك أن النقد النظرى انتقل إلى خشبة المسرح نفسها ، عليها يعرض «تارديو» جزيئات هذا الجهاز الضخم وهو المسرح ويشرحه وينشر عيوبه ، وبخاصة ما يتعلق منها بالتقاليد المتوارثة العتيقة لهذا الفن وأعرافه البالية ، وبذلك جعل «تارديو» من خشبة المسرح سلاحاً لمحاربة المسرح التقليدى . ومن هذه العيوب التى جسدها «تارديو» على خشبة المسرح انتشار عادة استخدام التجنبيات فى المسرحيات والأسراف فى استخدام المؤنولوجات ، وقد خصص «تارديو» مسرحية كاملة للهجوم على الظاهرة الأولى «أوزوالد وزينايدة» (٦١) ، وأخرى للسخرية من الظاهرة الثانية «يوجد جمهور غفير فى القصر» (٦٢) .

د . حمادة إبراهيم

الهوامش

- 1 - Beckett, (١٩٠٦), Adamov (١٩٠٨) Genet (١٩١٠), Ionesco (١٩١٢)
- 2 - Alfred Jarry (١٩٠٧ - ١٨٧٣), : نشرت أعماله المسرحية سلسلة من المسرح العالمي الكويتي :
الأعداد ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣
- 3 - Tardieu (Jean) , **Obscurité du Jour** ; Paris , SKira , 1974 .
- 4 - المرجع السابق ص ١٥
- 5 - المرجع السابق ص ١٩
- 6 - **Le Fleuve caché** ., Ed . Schiffrin , 1933 .
- 7 - **Visions Citadines** .
- 8 - **Les Dieux étouffés** . Seghers , 1946 .
- 9 - **Tonnerre sans orage ou Les Dieux inutiles** .
- 10 - **Des arbres et des hommes** .
- 11 - **Poèmes à jouer** , Paris , Gallimard , 1969 .
- 12 - Nicolas Poussin (١٥٩٤ م - ١٦٦٥ م).
- 13 - **Lettres Françaises** .
- 14 - **L' Honneur des poètes** .
- 15 - Paul Eluar (١٨٩٥ م - ١٩٥٢ م).
- 16 - Louis Aragon (١٨٩٧ م - ١٩٨٢ م).
- 17 - Albert Camus (١٩١٣ م - ١٩٦٠ م).
- 18 - **Club des Essais** .
- 19 - **Centres d ' Etudes** .
- 20 - **France - Musique** .
- 21 - **Démon de L' irréalité** , Meuchâtel , Ides et Calendes , 1946 .

- 22 - **L ' A . B . C de notre vie .**
- 23 - **Les Dieux étouffés .**
- 24 - **Théâtre de Chambre , Paris , Gallimard , 1966 .**
- 25 - **Qui est là?**
- 26 -**La Politesse inutile .**
- 27 - **La Sacre de la nuit .**
- 28 - **Monsieur Moi .**
- 29 - **Un mot pour un autre .**
- 30 - **Oswald et Zénaïd .**
- 31 - **Faust et Yorik .**
- 32 - **Il y avait foule au manoir .**
- 33 - **Un geste pour un autre .**
- 34 - **Les Amants du métro .**
- 35 - **Eux seuls le savent .**
- 36 - **La Sonate et les trois Messieurs ou comment parler musique .**
- 37 - **La Serrure .**
- 38 - **Les Temps du verbe .**
- 39 - **Une voix Sans personne .**
- 40 - **L ' A .B . C de notre vie .**
- 41 - **De la peinture abstraite , Lausanne , Mermod , 1960 .**
- 42 - **Les portes de la toile , Paris , Gallimard , 1978 .**
- 43 - **Trois personnes entrées dans des tableaux .**
- 44 - **La part de L' ombre , Paris , Gallimard , 1972 .**
- 45 - **Obscurité du jour , Paris , SKira , 1974 .**

- 46 - **Une Soirée en Provence ou Le mot et le cri .**
- 47 - **La Société Apollon ou Comment Parler des arts .**
- 48 - **Le Meuble .**
- 49 - **La Dernière Bande .**
- 50 - **Cendres .**
- 51 - **Ce que Parler veut dire .**
- 52 - Esslin (Martin) , **Théâtre de l' absurde** , Buchet/Chastel , Paris,1977.
- 53 - Giraudoux (Jean) (1911 – 1982) .
- 54 - Salacroux (Armand) (– 1899) .
- 55 - Pirandello (Luigi) (1926 – 1867) .
- 56 - Lorca (Garcia) , **La Maison de Bernarda .**
- 57 - Giraudoux (Jean) **Apollo de Marsac .**
- 58 - G  net (Jean) , **Les Bonnes .**
- 59 - Audiberti (Jacques) , **Le Mal court .**
- 60 - Artaud (Antonin) (1948 – 1896) .
- 61 - **Oswald et Z  na  de ou Les Apart  s .**
- 62 - **Il y avait foule au manoir ou Les Monologues .**

من هناك ؟

الأدب العقيم

قدس الليل

قطعة الأثاث

المتراس

شباك التذاكر

السيد أنا

أوزوالد و زينايد

كان هناك جمهور غفير فى القصر

هم وحدهم يعرفون الموضوع

من هناك ؟
Qui est là ?

الشخص

- الأب
- الأم
- الابن
- المرأة : شخصية تأتي من حيث لا ندري .
- الرجل : قاتل ينفذ أمرا .

المشهد يمثل حجرة خالية فارغة .

فى أقصاها باب ، إلى اليسار نافذة . الباب مقفل . النافذة مظلمة لأن الليل حالك فى الخارج . فى المقدمة ، إلى اليمين ، طاولة فوقها ثلاثة أطباق .

الأب (إلى اليسار) ، الأم (فى الوسط) ، الإبن (إلى اليمين) جالسون حول الطاولة . يغمر الحجرة ضوء معتدل ، يميل إلى الكآبة ، أشبه بالضوء فى قاعة انتظار فى محطة للسكة الحديدية .

من خلال بساطة الأداء الشديدة التى تثير الرعب تقريبا (لحظات الصمت وطرائق التنعيم التى تشبه تارة تلك التى نتحدث بها إلى طفل مريض ، وتارة تكون جادة للغاية بطيئة للغاية اللهم إلا فى اللحظات المؤثرة) ، ينبغى على الشخص ، وهذا شئ معروف لدى الأطباء النفسانيين ، أن توحى بأن كل ما يجرى قد جرى مسبقا فى مكان ما .

الأب (محولا رأسه نحو القاعة)

أنا الأب . وهذه زوجى ، وهذا ابنى . فى الخارج الليل بارد وطويل ، فنحن فى الشتاء ، ولكننا هنا يدفئ بعضنا بعضا ، ونحن نجلس حول هذه الطاولة لنكسر حدة الجوع بتبادل الأحاديث الودية .

(صمت)

(الأب يقوم وحده بتوجيه السؤال والإجابة ، فى حين تلزم الأم والابن الصمت وهما ثابتا النظرة)

ماذا فعلت صباح اليوم ؟ ذهبتُ إلى المدرسة . وأنت ؟ ذهبتُ إلى السوق . ماذا وجدت ؟ خضاراً أغلى من أمس ، ولحماً بسعر أفضل . أحسن . هذا يعوض ذاك . وأنت ، ماذا قال لك المعلم ؟ اننى اتقدم بسرعة . رح يا بنى . اعمل واجتهد وسترى ان التوفيق سيكون حليفك . آه ما أسعدنا ونحن مجتمعون معا ! ما أبرد الليل وأحلكه فى الخارج . فلنهنأ لأنه ليس هناك ما يدعونا للخروج ...

(امراة تبزغ من مقدمة المنصة اليسرى وتنادى الأب الذى يسمع ويجيب دون أن يحول رأسه)

المرأة

أيها الأب الطيب ، ينبغي عليك أن تأخذ حذرك ! ليس هناك إلا الليل فى الخارج .

الأب

ماذا تقصدين ؟

المرأة

احذر ! احذر (خفيضا) أعتقد ان هناك إنسانا خلف الباب .

الأب

ماذا يفعل ؟

المرأة

لست أدرى . إنه ينتظر .

الأب

ماذا ينتظر ؟

المرأة

ربما ينتظرك أنت .

الأب

حسنا . سأذهب لأرى . (المرأة تختفى . الأب ينهض ، يتوجه نحو الباب ، يفتحه :
رجل ضخم ، يرتدى زى السهرة لكنه عارى الرأس . واقف على العتبة .) ماذا تريد ؟ ...
هل تريد أن تكلمنى ؟ اذن ، فادخل ! .. ماذا تريد أن تقول لى ؟

(فى صمت ، الرجل يقبض على الأب ويخنقه . على حين بغتة ، النافذة تفتح من تلقاء نفسها . الرجل يحمل الجثة فوق ظهره ويختفى من الباب . فى هذه الأثناء الأم والابن يحولان رأسيهما ناحية اليمين وهما يخفيان وجهيهما بايديهما ويمكنان فترة طويلة فى هذا الوضع . المرأة التى ترتدى السواد تعود إلى الظهور ناحية اليمين) .

المرأة (بعد أن اطلقت زفرة)

هكذا ! ما كان ينبغى أن يقع وقع ... فى الخارج ، الليل يقترب من نهايته . كفى عن البكاء أيتها الأم الطيبة وتوجهى نحو النافذة ! (الأم تنهض وتتوجه نحو النافذة .) ماذا ترين ؟ أجيبى ! يمكنك أن تتكلمى الآن .

الأم

الريف مغطى بالموتى .

المرأة

والحى ؟

الأم

الحى مغطى بالزهور .

المرأة

والشمس ، ماذا تفعل ؟

الأم

الشمس فى قاع كهف ، ولكن أشعتها الأولى بدأت تتخلل إحدى الفتحات ... (تطلق صرخة) آه ! ...

المرأة (بسرعة)

ماذا ترين ؟

الأم

أرى الأب ... هناك ... بين الموتى ...

المرأة

ألم تكونى تعرفينه أيتها الزوجة المسكينة ؟

الأم

بلى ، ولكنه وسط رفاق كثيرين ..

المرأة (مخاطبة الابن)

أيها الابن ، توجه نحو النافذة وناد أباك .

(الابن ينهض ، يتوجه نحو النافذة وينادى ، فى حين تعود الأم إلى الجلوس)

الابن

أبى ، أبى ! ... أبى ! ...

المرأة

هل سمعك ؟

الابن

نعم ! هاهو ذا ينهض ... يتخطى الموتى الآخرين ... ويتقدم نحو البيت .

الأم

أسمع خطواته على الدرج ... إنه هو ... (الأب وعليه هيبه الموت ، يظهر على عتبة الباب ، الذى ما يزال مفتوحا . الابن يسرع إليه صائحا : «أبى ! ، . الأم تدس وجهها لحظة بين يديها ، ثم تنهض . الأم ، فى مواجهة الجمهور ، دون أن تنظر إلى الأب .) من قتلك ؟

الأب

لم يكن إنسانا .

الأم

من أنت ؟

الأب

أنا لست إنسانا .

الأم

من كنت ؟

الأب

لا أحد .

المرأة

إذن أين الإنسان ؟

الأب

ليس فى أى واحد منا .

الأم

ومع ذلك ، أنا أتذكر : أنت كنت حيا ! ..

الأب

فى كل واحد منا . الإنسان مات . لم يصبح له وجود ، ليس له وجود ، أولم يوجد بعد .

المرأة

أين هو ؟

الأب

فلنبحث معا : ذات يوم ، بيننا ... سيكون .

(الأم والأب والابن يتوجهون فى بطاء نحو الطاولة ويجلسون حولها .)

المرأة

النافذة تضئ ... (نور يلون بالفعل زجاج النافذة) شخص ما يقترب ... فلننتظر !

(١٩٤٧)

ستارة

* * *

الأدب العقيم
La Politesse inutile

الشخص

- الأستاذ
- الطالب
- الزائر

(المشهد يمثل مكتب استاذ . فى أقصى المشهد إلى اليسار ممر صغير يفضى بانحراف إلى باب الدخول . فى المقدمة إلى اليمين منضدة صغيرة عليها كتب . كريسيان وثيران ، طائر أبو قردان محنط . وراء كل ذلك توجد مكتبة .

الأستاذ يصحب الطالب إلى الباب وهو يوجه إليه نصائحه وتوصياته الأخيرة . الطالب يحمل لفافة كتب تحت إبطه وغطاء رأسه فى يده ، ينصت وعليه سيماء الاحترام العميق) .

الأستاذ (بلهجة صارمة مفتعلة ملوفا بسبابته)

وعلى وجه الخصوص ، تذكر يا صديقى ، إن الذى يهم فى الامتحان ليس ما تعرفه ولا ما تفهمه ، وإنما المهم هو ما تكون ...

الطالب

نعم ، يا دكتور .

الأستاذ

بالكائن ، وبالكائن وحده ، ستشق طريقك فى الحياة .

الطالب (بكل جدية واهتمام ومتعلثما)

نعم ، نعم ، بالتأكيد ، يا دكتور .

الأستاذ

بل إننى أضيف إلى ذلك ما يلى : إذا لم تكن ، فليس بإمكانك أن تزعم أن تصبح شيئا ، أى شئ (ثم فجأة وبغضبة خطابية) من أين أنتك الجرأة ، أيها الفتى المغرور على أن تتقدم إلى امتحان للحصول على دبلوم الدولة دون أن تكون قد تأكدت مسبقا من كيانك ، من وجودك ؟ من ذا الذى سيكون ضامنا لهويتك ، إن لم تكن أنت نفسك ؟ أجب عن هذا السؤال .

الطالب (مفروعا)

هذا ... هذا ... هذا هو السؤال الذى أوجهه إلى نفس .

الأستاذ (برقة أبوية مما يدل على أن غضبه كان تمثيلا)

هيا ! إننى أرى أنك توجه إلى نفسك السؤال الجوهري . هذه أول خطوة من عدم الرضى إلى "فضول ، ومن الفضول، إلى البحث ، ومن البحث إلى خيبة الأمل ، ومن خيبة الأمل إلى الجزع ، و... (عذبا) من الجزع إلى اليأس . هيا ، يا صديقى أتمنى لك حظا سعيدا !

الطالب (بكل حرارة)

أوه ! شكرا جزيلا يا أستاذى العزيز : حقيقة ... كيف ... ولكن ... ماذا ... أقصد ... شكرا لكل ما ...

الأستاذ (يربت كتفه بتنازل وحنان)

أنا لم أفعل شيئا ، يا صديقى ... لم أفعل شيئا . كل ما هناك أننى أريد لك التوفيق والسداد فى مستقبلك العملى . وتذكر دائما هذه الحكمة : الكيان هو كرامة الانسان ، كما أن الإنسان هو كرامة الكيان (يقوده رلى الباب) هيا ، إلى اللقاء .

الطالب

إلى اللقاء ، يا أستاذى العزيز . (الأستاذ يفتح الباب ، الطالب يخرج ، وفى الظلمة يصطدم بشخص يدخل) أوه عفوا يا دكتور ، هذا زائر جاء يطلبكم .

الأستاذ (بعظمة)

أَدْخِلِ الزائر !

(الطالب يبتعد ، يدخل رجل سوقى الهيئة ، يجمع بين التبسط والتعالى ، كأنه يفكر فى شئ آخر . قبعته تغطى اذنيه ويلعب بسلسلة مفاتيح . منذ هذه اللحظة نقرأ على وجه الأستاذ نوعا من التبعية القلقة حيال الزائر . ومع ذلك فهو يتظاهر بعدم الاهتمام واعتدال المزاج)

الأستاذ

أهلا : تفضل . ها أنت ترانى سعيدا برويتك ... (فارك يديه) كيف حالك ؟ (الزائر يلزم الصمت فى قحة ظاهرة ويتفحص الحجرة بلا اكتراث)

الأستاذ (أضعف من ذى قبل)

كنت أقول : كيف حالك ؟ ربما لم تسمعنى ؟
الزائر (رافعا كتفيه استخفافا)

سمعتك جيدا !

الأستاذ

عظيم ، عظيم . إذن ، صحتك على ما يرام ، يسعدنى أن أعرف ذلك . وهكذا نستطيع أن نمضى وقتنا ممتعا فى التحدث معا ... ولكن ، عفوا ، اجلس ... (الزائر يظل واقفا) لا ؟ ليكن ! كما تريد . لقد فهمت : لعلك قطعت مسافة طويلة وأنت جالس وتفضل تنشيط ساقيك بالوقوف ؟ عظيم ، عظيم . كما يروق لك . أما أنا ، فاسمح لى بالجلوس لأننى متعب من العمل طول النهار . (يجلس) نعم ، التدريس مهنة جميلة ، ولكنه متعب . أليس كذلك ؟ (منشراحا) المكافأة هى أن ترى نفسك محاطا بكل هذه البراعم الشابة المنطلقة ، المتدفقة المفعمة بالآمال والثقة فى المستقبل . المكافأة هى الاحترام الذى يكتنه لك أفضل هؤلاء ، حتى اللعابين منهم ، ثم ...

الزائر (مشيرا بأصبعه إلى رقة الأستاذ)

ما هذا ؟

الأستاذ

هَ ، بَ ، بَ ، ماذا هناك ؟

الزائر (متلفظا بالكاد وباحتقار)

رباط عنقك ... مقلوب .

الأستاذ (معدلا هيئته)

أوه ! عفوا ! سامحنى . كنت أتكلم ، أتكلم ولم ألاحظ أن ...

الزائر (بالطريقة نفسها)

سماح ... مؤقتا !

الأستاذ (مجتهدا فى الابتسام)

ثم ، أرجو أن تسامحنى إذا كنت أتحدث كثيرا عن نفسى ، أنا المخلوق الضعيف ! المفروض أن أسمع منك انطباعاتك ، وهل تروقك هذه المدينة ، وما تنوى عمله ... تكلم ، سأكون

سعيدا جدا بالاستماع إليك ... (الزائر ينظر في الهواء وهو يصفر بأحد الألحان استخفافا وازدراء) لا يستطيع أن تدرك مدى اهتمامي بكل ما يخصك وما يتعلق بك . ولكن ، لعل التواصل هو الذى يمنعك من الكلام ؟ أجل ، الحياء ، حياء النفوس العريضة ... ولكن أرجوك ، اعتبرنى صديقا لك وامنحنى هذا الشرف بأن تفضى إلى بجميع أسرارك .
الزائر (قاسيا)

ثرثرة لا تهمنى على الإطلاق !
الأستاذ (وقد بدأ يشعر بالضيق ولكنه يحاول أن يكون لطيفا)
أوه ! هكذا ! أنت الذى قلتها ! ... ولكننى قلتها لنفسى : ربما كنت ترغب فى تناول شئ ، بسكوت ، مشروب ؟ سأنادى زوجتى ... (ينهض)
الزائر (فجأة منفرج الأسارير)
أنت لك زوجة ، أنت ! آه ، عجباً ! (يضحك بقسوة) آه ! آه ! زوجة ! آه ، لا ... شئ مضحك ...

الأستاذ (مستفزا للغاية ولكن يحاول ان يكون لطيفا)
طبعاً ! لى زوجة . زوجة وفيه ، لطيفة ، رفيق ...
الزائر (جافا)

كفى ...

الأستاذ (فى اندفاع عزة وكرامة)
من فضلك يا سيد ، ما هذه اللعبة التى تلعبها معى ؟ ما معنى موقفك هذا من رجل فى مثل مركزى ومكانتى ؟ (بشئ من الثقة) هل تعلم أنك أمام أستاذ جامعى له سمعته ، يحوطه تقدير زملائه واحترام طلابه ، وحب أفراد أسرته ؟ لقد بدأت أرى .
الزائر (ساخرا ومهددا وكأنما بدأ يهتم بالمحادثة)
آه ! بدأت ترى ؟

الأستاذ
بالضبط ، بدأت أرى أن موقفك فيه إهانة خطيرة لى . المهم ، ماذا تريد ؟
الزائر (متدفعاً مرة واحدة نحو الأستاذ وناظرا فى عينيه)
تريد أن تعرف ؟

الأستاذ (مفزوعا ومتراجعا نحو اليسار)

نعم ، أجل ، أريد أن ...

الزائر (مهددا أكثر فأكثر)

تريد أن تعرف ، هه ؟ أذن ، خذ . (يكيل له ثلاث لطمات عنيفة أو أربع براحة يده وظهرها . الأستاذ ينهار فوق الأرض قالبا المنضدة الصغيرة والكتب . الزائر يستعيد هدوءه كأنه فرغ من أداء واجب صعب ولكنه ضرورى . ويتوجه ناحية الجمهور فى جدية تامة) لن أشرح لكم هذه القصة . ربما تكون قد وقعت بعيدا جدا من هنا ، فى أعماق ذكرى سيئة . إننى أت من هناك لكى أخطركم وأقنعكم . (بصوت خفيض وأصبعه على شفتيه) صه ! هس ! هناك شخص نائم ويمكن أن يسمعنى ... سأعود ... (يبتعد على أطراف أصابعه) ... غدا .

(١٩٤٧)

ستارة

* * *

قدس الليل
Le Sacre de la nuit

THÉÂTRE DE CHAMBRE

et les livres. Le Visiteur reprenant son calme comme s'il venait d'accomplir un pénible mais nécessaire devoir et se tournant vers le public. Avec gravité.) Je ne vous expliquerai pas cette histoire. Sans doute a-t-elle eu lieu très loin d'un mauvais souvenir. C'est de là que je viens, pour vous avertir et vous convaincre. (A voix basse, un doigt sur les lèvres.) Chut ! Il y a quelqu'un qui dort et qui pourrait m'entendre... Jereviendrai... (Il s'éloigne sur la pointe des pieds.) ... demain .

(1947)

Rideau.

الشخص

- الرجل ، جالس

- المرأة ، واقفة

(المسهد يمثل حجرة خالية ، غارقة فى الظلمة . فى المقدمة جهة اليمين ، رجل جالس .
ينيره كشاف بنور أزرق . فى أقصى المنصة جهة اليسار ، نافذة كبيرة مفتوحة على سماء
ليلية ذات لمعان يميل إلى البياض ، تغطيها النجوم . بجانب هذه النافذة امرأة شابة فائقة
الجمال تقف وتضع يدها على حافتها . انعكاس ضوء الليل المنير يحدد ويرسم هيكل المرأة .
الشخصان يتحدثان بلهجة افتنان متصل يبلغ حد الهذيان .

لا يتحركان من مكانهما حتى النهاية . الرجل يتحدث مواجهها الجمهور ، ولكنه يوجه
حديثه إلى المرأة الشابة التى تصف له ما تراه فى الخارج) .

الرجل

أذهبى إلى النافذة يا جميلتى ، يا حبيبتى ، وصفى لى ما تشاهدين .

المرأة

ألمح نجماً فى المساء .

الرجل

ألا ترين فعلاً سوى نجم واحد ؟

المرأة

الآن أرى نجماً آخر ... بل نجوماً عديدة ... بل فيضاً من النجوم .

الرجل

ألا ترين شيئاً آخر تحت السماء ؟

المرأة

لا شئ آخر ، يا صديقى .

الرجل

حتى ولا سحابة ضئيلة ؟

المرأة

حتى ولا سحابة ضئيلة .

الرجل

حتى ولا روحا صغيرة خبيثة ، بنصف إنسان ونصف خفاش ؟

المرأة

حتى ولا روحا صغيرة خبيثة .

الرجل

ألا ترين شيئا فوق الأرض .

المرأة

أرى بسطا من الضوء ، وعلى الأشجار خيوطا من الفضة ، والماء الذى يتلألأ بين الأغصان ، والمنازل التى تشرق ، والطريق التى تمتد .

الرجل

بين كل ذلك ألا ترين حتى ولا عربات قطارات مقنعة ، ولا فرقا تسير ، ولا بهائم بقرون منتصبية على أقدامها ، أقدام البشر ؟

المرأة

لا شئ من ذلك ، يا صديقى : لا عربات ، ولا فرق ، ولا بهائم بقرون .

الرجل

إذن ، فليعمّ العالم السلام ! إذن ، أحببتنى كما يحب هذا النور هذا الحقل !

المرأة

أحبك كذلك ، يا حبيبى .

الرجل

صعدى نظرك نحو السماء ! أعطينى نورها فى صوتك ، فى كلماتك ..

المرأة

انى أسمع ، يبدو لى ... يبدو لى أنى أسمع ...

الرجل

ماذا تسمعين ؟

المرأة

سمع حفيف أوراق النجوم ، طيران بخار الماء ، أنفاس الهواء المحبوسة .

الرجل

أنا اسمع نظرتك فى صوتك . لا أحتاج أن ألتفت أو أن أنظر . هذه النافذة تخصك .
بواسطتك اعرف ما يجرى فى الخارج .

المرأة

لا شئ آخر الا الزمن . الفضاء يحتويه وينيمه . وأنا اقدمهما لك بملء ذراعى .

الرجل

علينا نحن أن نسهر ، أن نسهر بلا هواده ولا خوف . علينا نحن أن نؤوى هذا الليل المعلق
بشفاهنا . افتحى مرة أخرى عينيك من أجلى ، يا حبيبتي .

المرأة

أنا أفتح عينى لكى ترى يا حبيبى ..

الرجل

إرفعى نظرك يا حبيبتي .

المرأة

أنا أرفع نظرى إلى أبعد مدى يمكن أن يصل اليه .

الرجل

إنه يذهب إلى أبعد من نفسه . إنه يذهب إلى أبعد منك . بل إنه يذهب إلى أبعد من فكره ،
أو أحلامك إذا نمت .

المرأة

أنا لا أنام ، أنا أسهر إلى جوارك .

الرجل

أنت تسهرين حبا ، ونظرك يبلغ ما لا تستطيعين معرفته ، ما دام يغوص فى هذا الليل .

المرأة

أنا أشعر براحة كبرى فى عينى وفوق جبيني ، ثم فى سائر جسدى .

الرجل

إنه ليل الفضاء الذى يمتزج بنظرك .

المرأة

قلبي يجلس بفرحة مجهولة ، عالية وعميقة كالقبة .

الرجل

إنه الفضاء الخالد الذى يهبط فى روحك ويفتح كل هذه النوافذ .

المرأة

فى لم يعد يستطيع الكلام . روحى تغنى .

الرجل

إنه القدس ! (صمت . مستأنفا بصوت خفيض) الآلهة والشياطين يلودون بالفرار . أنت توحدت مع الفضاء اللئلى ، ودخلت فى وفاق مع براءة العالم . استمتعى فى هذا الحمام من النور ، من العسل ومن النضرة . عودى بمولدٍ جديدٍ بيضاء مزينة من أجل الحب ، على أجنحة الزمن الذى لا يتحرك ، خفيفة فى ليلى الذى يعبدك . تعالى !

(الرجل ينهض . المرأة والرجل يتقدمان بطيئا كل منهما نحو الآخر . حينما يبلغان منتصف المنصة ، يمسك كل منهما بيد صاحبه ويتوجهان بطيئا ناحية اليمين) .

المرأة

أنا أصحبك على الطريق التى لا نهاية لها .

الرجل

حينما يأتى النهار للقائنا ، تذكرى أن الليل قد منحنا سره !

(يختفيان)

(١٩٤٨)

ستارة

* * *

قطعة الأثاث
مريحة من نعل واحد
Le Meuble

أقبل فتح الستارة ، يسمع لحن موسيقى لاهت من آلة أورغ بذراع ، لحن رقصة البولكا ، يحاول اللحن أن يكون معبرا عن البهجة ، ولكنه فى الواقع حزين مؤثرا .
[تفتح الستارة] .

[الجزء الذى يبدو من المنصة ينبغى أن يكون فى أضيق الحدود ، وذلك على سبيل المثال ، بعدم فتح الستارة بالكامل ، بحيث يبدو من المنصة نصفها فقط ، بل أقل من النصف . والمشهد يمثل قاعة ما خالية تماما] .

[عند فتح الستارة ، المخترع - وهو رجل عادى جدا - يكون جالسا فوق كرسى يقرأ صحيفة بلا تركيز ، وهو يدير أو يتظاهر بأنه يدير الذراع التى تشغل الأورغ الموجود فى خلفيات المسرح جهة اليمين ، من آن لآخر يتثاءب ويحك رأسه أو ينظر فى ساعته ، يبدو أنه ينتظر شيئا أو شخصا] .

[يسمع جرس الباب . المخترع ينهض ، يضع صحيفته فوق الكرسى ، ويهرول ناحية الباحث جهة اليمين . يتظاهر بإيقاف ذراع الأورغ : تتوقف الموسيقى ثم يتجه ناحية اليسار . يختفى لحظات فى خلفيات المسرح ، ثم يظهر وحده ، ولكن وهو يتحدث إلى المشتري الذى سيظل خافيا عن الأنظار طوال المشهد على افتراض أنه جالس فى خلفيات المسرح جهة اليسار] .

ملحوظة :

[يمكن أيضا جعل المشتري يظهر على المنصة مع التزامه بالصمت . فيبقى مثلا جالسا جهة اليسار ، كأنما ينظر إلى الأورغ الموجود جهة اليمين . فى هذه الحالة ، وحتى اللحظة التى ينهار فيها بعد قتله بالمسدس ، كل ما يعمل هو التعليق بالحركة والايماة فقط على ما يقوله المخترع من كلام منمق معسول ترويجا لبضاعته] .

(المخترع ، موجهها كحديثه نحو خلفيات المسرح)

- آه ! أهلا وسهلا يا سيدى ! حضرت من أجل الأورغ ، لمشاهدة الأورغ ؟ .. تفضل بالدخول ، إنه هنا بالداخل ، أمامك بالضبط !

[حينما يعود إلى منتصف المنصة ، يشير بكل اغتباط إلى الأورغ المفروض أنه فى خلفيات المسرح لا يظهر للعيان] .

- هاك الأسطورة ! أليس جميلا ؟ ... أجل ، إننى أقرأ ما يعكسه على وجهك من أثر عظيم ... ثم هذا ما يحدث فى كل مرة . فهكذا دائما يكون رد الفعل عند جميع المشتريين حينما يجدون أنفسهم على حين فجأة أمام هذا الأورغ . الأنفعال يجعلهم عاجزين عن الكلام ، كما يحدث معك الآن . ولكن أفق من دهشتك ، أرجوك .

- آه ، يا سيدى ، يا له من فخر ! يا له من فخر لى أنا مخترع هذا الجهاز . أجل ، يا له من فخر أن أرى هذا الجهاز الذى خرج من بنات أفكارى وصاغته يداى ، يشير الإعجاب إلى هذا الحد ! ... شكرا ، يا سيدى ، شكرا لك أيضا لآيات العجائب التى تبديها لى !

- لعلك تريد أن تسألنى كيف توصلت إلى تصميمه ؟ آه ، يا سيدى ، ما أسر ذلك ، فأنا لا أزعم أننى صاحب الفكرة الأولى التى يقوم عليها . كلا ، كلا . إن مثل هذا الجهاز موجود منذ زمن بعيد وأنا لا أتردد فى اعلان ذلك . فى القرن الثامن عشر كانوا يسمونه «روح شفىنى اذا كنت موجودا» لقد شاهدت منه أجهزة رائعة الجمال تعود إلى ذلك العصر : بأرجل مستديرة إلى الداخل ، وأزرار للشحن .

- ان الفضل الذى يعود إلى - اذا كان ثمة فضل - هو أننى عدت إلى تلك لنماذج القديمة ، مع أنها كانت على درجة كبيرة من الكمال ، وجعلتها تتفق وذوق العصر الحاضر ، أنظر . هناك أعلى الجهاز ، هل ترى هذا الكورنيش الصغير من الجص المذهب ؟ قد يبدو بلا

أهمية ؟ .. حسنا . ومع ذلك ففيه يكمن السر كله ، سر مثل هذه الأجهزة : اذا نزع هذا الكورنيش من مكانه ، انهار الجهاز بالكامل وتعطل عن العمل . لأن هذا الكورنيش هو الختام والنهاية . وبالتالي فان كل ما يقع تحته تابع له مرتبط به ! بالضبط كالبنية ، الدور الخامس يرتبط بالدور السادس والرابع يرتبط بالخامس ، وهكذا حتى نصل إلى الدور الأرضي . هذا واضح .

.... أجل ، لقد بدأت هذا المشروع منذ خمسة وعشرين عاما بالضبط ! كم كلفني من عمل متواصل وهموم وسهر ! لقد وضعت فيه كل علمي وخبرتي . وكل شبابي . جهاز كله علم وتجارب ، ممتلئ ، مفعم يكاد ينفجر . ولا فراغ فيه . لاحظ أنني أبيعه بكل ما فيه . لذلك فأنا أطلب فيه ثمنا مجزيا ، أجل ، ذلك لأنه ليس جهازا فارغا ، أو جهازا بلا روح كغيره من الأجهزة الكثيرة ، جهازا ليس في بطنه شيء ؛ كلا . ان جهازى هذا ملآن الى حافته يكاد يتفطر من الامتلاء !

أجل لابد من ثمن مناسب . طبعاً ؛ ما دمنا بصدد جهاز يقدم لك كل ماتطلب منه ، خذ واطلع على بيان الاستعمالات [يخرج من جيبه ورقة ويقدمها للمشتري] ... خذ أقرأ جميع الاستعمالات التى يمكن أن يؤديها ... قائمة لا تنتهى ... اقرأ بعناية ؛ ... هيه ، ما رأيك ؟ أليس شيئاً مذهلاً ؟ فلنجرب ، ماذا تريد أن تطلب منه ؟ كيلو جمبرى ؟ قطعة موسيقية ؟ حل مسألة فى الجبر ؟ منظر طبيعي ؟ رشقة عطر ، استشارة قانونية ، ماذا تريد ؟ منفضة ؟ اجل . منفضة ! .. أنت متواضع ! .. انتظر .. [يذهب ناحية الجهاز] انظر ... أنا أضغط على الأزرار م .. ن .. ف .. ض .. (أجل فقد قمت بتبسيط الرموز الكتابية) ... أستعد ، أضغط على مقبض «الأعمال المنزلية» ... ها هو ذا !

[فعلا ، بعد سماع فرقة مدوية تصدر من بكرات ولولبات ، وضجة من جراء انفصال أجزاء بعض الآلات المختلفة ، يخرج على حين فجأة من خلفيات المسرح ، ذراع بشرية متصلة للغاية مكسوة بالسواد وترتدى قفازا أبيض ، تحمل منفضة . المخترع يأخذ المنفضة ، ويحتفظ بها فى يده أو تحت إبطه حتى نهاية المشهد . الذراع تعود من حيث خرجت فى حركة ارتجاجية] .

- أنت مندهش ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فأنت لم تشاهد شيئاً بعد . إنه يتكلم أيضا ، ذلك الحيوان . ناطق مائة فى المائة ! ... ماذا تريد أن يقول ، هيه ؟ .. ماذا ؟ حسنا ، كما

تريد ! فوراً ! .. سمعاً وطاعة ! .. إضغط على الأزرار : ش .. و .. ق .. ي .. * ، انصت جيد .

[نسمع من جديد ضجة انفصال الآلات ، ثم :

(صوت الجهاز مترنماً بصوت أخف وأبلة)

وما نيل المطالب بالتمنى .. ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

وما استعصى على قوم منال .. إذا الاقدام كان لهم ركاباً

★ المخترع :

- ما رأيك فى هذه الأعجوبة ؟ هيه ، صوت رائع ! .. لاحظ أنك تستطيع أن تسمعه كما تشاء ، الصوت هو هو لا يتغير ، والكلام هو هو لا يتغير ، وكذلك التنغيم ! آه !

أجل يا سيدى ، أنت على حق ، هذا مكسب كبير لأولئك الذين يعشقون الأشياء الجميلة ! ولكى أبرهن لك على صحة ما أقول ، ستستمع ، إذا شئت ، إلى الأبيات نفسها ، بالصوت نفسه :

[يشغل بعض الأزرار والمقابض الخيالية . ضجيج وضوضاء ، ولكننا بدلاً من بيتى شوقى نسمع الآتى :

ماما زمانها جاية .. جاية بعد شوايا
جايه لعب وحاجات .

★ المخترع (وقد باغتته المفاجأة) :

- ما هذا ؟ ماذا جرى ؟ خطأ ؟ .. [يتوجه ناحية الجهاز ويتفحصه] .. أجل مجرد خطأ فى التحويل ، ولكن أنا وحدى المسئول عن ذلك . وليس جهازى ! إنه جهازى . لا يخطئ ، إنه معصوم من الخطأ ، إنما الخطأ من طبيعتنا نحن معشر البشر المساكين ! ..

لحظة .. ستفهم الآن كل شئ : هل ترى الدرج الرابع ، هناك ، من أسفل ، إلى اليسار / كلا ، ليس هنا ، هناك ، تحت التمثال الصغير لكيوبيد الذى يرتدى قبعة نابليون ! ...

★ فى الأصل الفرنسى «موسيه» الشاعر الفرنسى ، وأبيات له مشهورة تقول :
الإنسان صبى سيدة الألم / ولا سبيل لمعرفة شئ ما إلا بالمعاناة .

أجل ، هذا ... حسنا ، على هذا الدرج الرابع ، هل ترى صفى الأزرار ؟ ...
الأزرار الحمراء أعلى ، والأزرار الخضراء أسفل ؟ حسنا ! ... إذا جذبت الزرار الثالث
الأخضر والزرار السابع الأحمر ، وليس العكس ، نتجت زحزحة يسيرة نسميها بلغتنا «من
شابه أباه فما ظلم» . وكما تدل التسمية فهو إشكال عارض ، لا يتضمن خطورة ظاهرة ،
ولكنه خطير فى الواقع ، لأننا لا نلاحظ ذلك .. ونحن نصحح هذا الاشكال بأسلوب
نسميه : «إذا أنت أكرمت اللئيم ، نحن نعرف الداء ؟ ولدينا الدواء . فلنبداً من جديد !

قلنا الدرج الرابع ، الزرار السابع الأخضر ، والزرار الرابع الأحمر ... هكذا !

[تشغيل يعقبه ضجيج ، ثم الصوت :]

(صوت الجهاز أخف كما سبق ، لكنه هذه المرة بإيقاع سريع وأسلوب تهرجى)

وما نيل تؤخذ ولكن غلابا بالتمنى المطالب الدنيا

نيل بالتمنى وما المطالب الدنيا تؤخذ غلابا

ركابا وما لهم استعصى كان على الإقدام قوم إذا منال

استعصى إذا وما إذا على كان قوم لهم منال ركابا

على ركابا وما قوم إذا كان منال الإقدام ركابا لهم استعصى

قوم على وما منال استعصى ركابا لهم كان الإقدام إذا

★ المخترع :

- آه ! آه ! ماذا جرى ؟ مستحيل ! غير معقول ! كفى ! كفى بطل أيها الوغد ! .

[المخترع يهرول إلى الجهاز ، يهزه ، ويركله بقدميه ويدق عليه بقبضتى يديه . الصوت
يتوقف]

- سيدى أرجوك ، سامح جهازى .. لقد اشتغل كثيرا هذه الأيام ، لقد قمت بتعليمه الكثير
من الأشياء ، وقرأت عليه الكثير بحيث تشبع وصار مفعما . ثم إن ما حدث ليس سوى
إشكال عارض ، إشكال آلى . فلا بد وأن شخصا داس فوق التوصيلات ، اللهم إلا أن
يكون السوس قد هاجم أخشاب المحور الرئيسى ! ليلة واحدة يرتاح خلالها ، ويعود كل
شئ على ما يرام .

... ولكننى لا أريد أن أتركك بهذا الانطباع السيئ ، سأطلب من جهازى أن يقدم إليك هدية ، على سبيل الاعتذار لك . هيا ! سنعمل لك شيئا رائعا ، شيئا يظل بالنسبة لك ذكرى ، حتى لو لم تشتتر الجهاز . آه . هاك ، لقد وجدتها !

[يشغل الجهاز لحظة]

- والآن يا سيدى ، أغلق عينيك ولا تفتحهما إلا اذا قلت لك : ستكون مفاجأة ... واحد ... اثنان ... ثلاثة ... هاك !

[ذراع الجهاز يخرج على حين فجأة مسدسا ، ويطلق النار ، تسمع فرقعة ، فى خلفيات المسرح ، صرخة عالية وضوضاء ناتجة عن سقوط جثة . فى حالة ظهور المشتري فوق المنصة يسقط ميتا . المخترع يظهر مذعورا فى بادئ الأمر ثم يرفع كتفيه كالمستسلم ويقول :] موسيقى ! ..

[يقبض على ذراع الجهاز كما فعل فى بداية المشهد ، وفى الحال نسمع لحن الأورغ الذى سمعناه فى البداية] .

(ستار)

* * *

المتراس

La Serrure

THÉÂTRE DE CHAMBRE

Et maintenant, monsieur, fermez les yeux et ne les ouvrez que lorsque je vous le dirai : ce sera une surprise... Un... deux... trois... ça y est ! (Le bras sort brusquement un revolver et tire. Détonation. Dans la coulisse, un grand cri et le bruit de la chute d'un corps. Si l'Acheteur est sur la scène, il s'écroule, touché à mort. L'Inventeur paraît d'abord atterré, puis, haussant les épaules d'un air résigné :) Musique!...

Il reprend la manivelle et, aussitôt, on entend la même musique d'orgue de Barbarie qu'au début .

Rideau.

صاحبة المحل

الزبون

حجرة استقبال مؤنثة ومزينة بطريقة تنم عن ذوق سقيم . لوحات رديئة على الجدران ، كراسى موسدة وطاولة صغيرة مستديرة بقائمة واحدة في أعلاها وثلاث قوائم في أسفلها ، الكراسى والطاولة مذهبة . إلى اليسار في الجنب باب جنازى الهيئة : أبعاده خارقة للعادة ، مطلى بالأبيض مع إطار أسود . في منتصف الباب ، أى فى مكان غير عادى يوجد متراس ضخم ، أكبر من المعتاد ، ثقب الباب أيضا ذو أبعاد غير عادية مع أنه لا يختلف من ناحية الشكل عن الثقب الاعتيادى . يبدو أن كمية هائلة من الليل تكدست وتركزت فى هذا الثقب . فى الناحية المقابلة ، أى إلى اليمين ، باب آخر ، لكنه ذو أبعاد متوسطة ، عادية ، إنسانية .

فى أقصى المنصة ، نافذة تخفيها ستائر كثيفة مغلقة تتدلى حتى الأرض .

الحجرة مضاءة بالكهرباء .

عند رفع الستارة ، الباب الأيمن ينفتح بغتة : الزبون يدخل مذعورا بعض الشئ تلحق به صاحبة المحل .

الزبون إنسان مسكين خجول ، ملابسه ضيقة وحركاته محدودة ، صاحبة المحل سيدة ضخمة ناضجة جدا ، شعرها مصبوغ ، ملابسه صارخة الألوان . تحمل فى يدها ربطة مفاتيح .

صاحبة المحل (باندفاع)

هنا ، هنا ، اجلس هنا ... حتى أعود . (الزبون يجلس . صاحبة المحل تغلق الباب عليهما ، تبدو لحظة مهتمة بما يجرى فى الجانب الآخر ، ثم :) لقد مضوا ، حسنا ، سأذهب أنا . سأعود بعد لحظة (تبتسم له ابتسامة عريضة «تجارية» وتختفى من حيث أتت ، وهى تغلق الباب على الزبون ، الذى بقى وحده وجعل يتهيا لانتظار . يسعل وينظر فى ساعته ويكرر النظر إلى جهة باب اليمين وقد بدت عليه علامات نفاد الصبر ، حينئذ تظهر صاحبة المحل من جديد وهى ما تزال على حماسها وعجلتها) . يا إلهى ، يا إلهى ، سيدى العزيز ، أرجو ألا أكون قد جعلتك تنتظر طويلا ؟ كم أنا آسفة لأننى جعلت هذا السيد الطريف الصغير ينتظرنى .

الزبون (متماسكا وفى غاية الخجل)

سيدتى ... الحقيقة ، يا سيدتى .. أنا لم أكن على عجلة من أمرى . هذا بالتأكيد ..

صاحبة المحل

بالتأكيد ، بالتأكيد ... لقد بدأت تفقد الصبر ، أيها الصغير الطريف . هيا اعترف بذلك صراحة . الواقع أن بعض السادة الذين يأتون رلى هنا لا يتبرمون دائما من طول الانتظار ! كلا ، لا يتبرمون ! بل يستطيع أن أقول إن بعضهم ، كيف أعبر عن ذلك ، ينعمون بذلك . (تضحك بطريقة مفهومة) هل تدرك ما أعنيه ؟ .

الزبون (محاولا أن يكون محترما)

أنا يا سيدتى ، كما تعرفين ، الذى أتى بى إلى هنا سبب آخر تماما .

صاحبة المحل (بسخرية)

مفهوم . كل واحد من السادة يأتى هنا دائما لسبب آخر تماما . وكذلك أنت يا سيدى الصغير ، طبعا ، طبعا ..

الزبون (بشئ من التبذل ولكن تتملكه عاطفة عارمة)

أنت تعرفين يا سيدتى لماذا جئت ! أو بأحرى لمن جئت !

صاحبة المحل

هيا ، دعك من هذا ، أنا أمزح يا سيدى الصغير ، سيدى الصغير المسكين نحن نداعبك . ولكن نداعبك فى ظرف لأننا ندرك ماذا تريد ، ولأننا نعرف أننا سوف نلبى لك طلبك (بطريقة غنائية) أننا سنلبى لك طلبك ، أن السيد سوف ينال ما يريد ، ما يريد .

الزبون (بحيوية وبصوت أجش)

أين هي ؟ أخبريني أين هي ؟ *

صاحبة المحل (مستمرة فى الترنيم)

آه ، آه ، أين هي ، جميلة الجميلات ؟ أين هي ، الغادة الجميلة للسيد الصغير ؟

الزبون

أرجوك : لا تمزحى !

صاحبة المحل (مستأنفة بلهجة طبيعية)

أيها الخبيث عديم الصبر (رافعة كتفها) هيا ، أنت تعلم جيدا أننا ما جئنا بك بلا فائدة .

الزبون

أتوسل إليك . أتضرع إليك أن تخبرنى : أين هي ؟

صاحبة المحل (مشيرة بطريقة شعائرية إلى الباب الجنائزى الكبير)

هناك .

الزبون (وكأن شيئا قد ألهمه)

هناك ، هي إذن هناك ؟ إنها هناك ، خلف هذا الباب ؟

صاحبة المحل

مادمنا قلنا لك ذلك .. (مستدركة) أو بالأحرى هي ليست هناك بعد ، حتى هذه اللحظة ،

ولكن من المؤكد أنها ستكون هناك بعد قليل .

الزبون (وقد خاب أمله)

آه ؟ فقط بعد قليل ؟

صاحبة المحل

دعك من هذا ، وكن عاقلا : أنت تعلم جيدا أن شيئا لا يمكن أن يتم فى حضور طرف ثالث

حتى لو كان هذا الثالث شخصا مثلى لا يحضر إلا ليقدم لك ما تريد ... بعد قليل ، حينما

تصبح وحدك ، وإن كنت عاقلا حقا ، فإنك ..

(تأتى بحركة ترمز إلى شئ رائع)

الزبون (مطلقا زفرة عميقة)

لطالما تمنيت هذه اللحظة ، يا سيدتى !

* هي (Elle) تبدأ فى النص بحرف كبير (كابيتال) . ولعل فى ذلك نوعا من التجريد أو الاطلاق أو الرمز الذى سيتضح

كلما تقدمنا فى المسرحية . المترجم

صاحبة المحل (تضحك ضحكة ماجنة)

هذا ، أنا واثقة منه .

الزبون

لماذا تضحكين ؟ ألأنتى أخاطبك قائلاً يا سيدتى ؟

صاحبة المحل (ماجنة)

ليكن !

الزبون

لا غرابة فى ذلك ، كما تعلمين !

صاحبة المحل

أعلم ، أعلم كل شئ .

الزبون

لا غرابة فى ذلك ، عاطفة كهذه ! منذ أيام وليال وسنوات لا أفكر إلا فيها . كنت أقول لنفسى : أوه ! لو أستطيع فقط أن أراها ! ... أن أراها ! .. ولو لحظة واحدة ! ... أراها ! حتى دون أن ترانى ! ألمحها فقط ! من خلال ستارة ممزقة ، أو باب منفرج ، من خلال منظار ! ... أجل ، هكذا كنت أخاطب نفسى . كنت أقول لنفسى إن هذا يكفى لإسعادى .. والآن وعلى حين بغيته يتحقق الحلم ! ها قد حانت هذه اللحظة !

صاحبة المحل

صبرا ، يا صغيرى ! بعد قليل ، بعد قليل !

الزبون

على أية حال ، ماذا يهم الآن أو بعد قليل ! لقد بلغت الغاية ! هل أنا ذا فى حلم ؟ أخبرينى : هل أنا فى حلم ؟

صاحبة المحل

كلا ، كلا يا صغيرى ، أنت لست فى حلم .. أنت هنا يقظ بلحمك وعظمك .. بلحمك وعظمك . من أجلها ، سيكون بوسعك الآن أن تتأملها حتى تشبع ..

الزبون

ما زلت لا أستطيع أن أصدق ذلك . هل هذا ممكن ؟ هل كل هذه السعادة من أجلى ؟

صاحبة المحل

من أجلك ، يا صغيرى ، من أجلك .. من أجلك وحدك ، وحدك فقط ، بعد قليل . أى حينما

تسمع دقات الـ ...

الزبون

ماذا ؟ هل ستحدثنى ؟ ... أم أنها ستغنى ؟

صاحبة المحل

لا تتفعل هكذا ! ودعنى أكمل عبارتى .. أقول سيكون بوسعك أن تنتظر ، سيكون عليك أن تنتظر بمجرد سماع الدقات المتفق عليها ، أى حينما تسمع ساعة حجرتها تدق السادسة هنا ... خلف الباب ... السادسة (بيطء) دينغ ! ... دينغ ! ... دينغ !

الزبون (مكملا وهو فى غاية النشوة)

دينغ ! ... دينغ ! ... دينغ ! السادسة ! الساعة فى حجرتها . هنا . تكلمنى ؟
(يشير إلى الباب الأبيض المحاط بالأسود)

صاحبة المحل

نعم . ! هنا ! خلف هذا الباب !

الزبون (وقد انتابه القلق فجأة)

وهل أنت واثقة من أننى سأسمع ، أننى سأسمع جيدا دقات الساعة ؟

صاحبة المحل

بكل وضوح . بكل تمييز ! رنين لطيف شجى من ساعة غادة ، غادة جميلة ..

الزبون (محموما)

ساعة فوق منضدة سريرها ؟ أليس كذلك ؟ وبالتالي فهى ساعة قريبة منها أليس كذلك ؟
هذا صحيح : قريبة منها ؟ أستحلفك أن تجيبنى اذن !

صاحبة المحل

نصيحة : هدى من انفعالك . ولا تستسلم لمثل هذه الحالة ... «قبل ذلك»

الزبون

وكم من الوقت ينبغي أن أستمع إلى رنين الساعة هذا ؟

صاحبة المحل (بطريقة فيها إغراء)

ليس كثيرا .. لحظة قصيرة .. ولن يضيرك هذا .. بل ستسعد كثيرا له ... «بعد ذلك»

الزبون

أولن يأتى من يـ ... يزعجنى ، على الأقل ؟

صاحبة المحل

أبدا .. ستكون فى هدوء تام .. أيها الخبيث الصغير ... لن يكون هناك ما تغبط عليه عظماء الأرض !

الزيون

«وأين، وكيف، سأراها ؟

صاحبة المحل (مشيرة إلى ثقب القفل)

من هنا !

الزيون

من هنا ؟

صاحبة المحل

بالضبط ..

الزيون

أوه ! يعنى ...

صاحبة المحل

ماذا إذن ؟

الزيون

يعنى سيتحتم على أن أنظر من هنا ... من هنا ؟

صاحبة المحل

أجل ، طبعا ! قلها اذن بصراحة ووضوح : من ثقب المتراس ..

الزيون (وقد خاب أملة)

آه !

صاحبة المحل

ماذا إذن ؟ اعتقد أنه ليس هناك ما يدعو للشكوى !

الزيون

أوه ، كلا ، كلا ، بطبيعة الحال ، لكن

صاحبة المحل (ساخرة منه وباحتداد)

كيف ! السيد كان يعلن قبل أنه يتمنى أن يراها بأى ثمن ! أنه يرضى أن يرى جميلته من خلال ستارة ممزقة ، من خلال باب منفرج ، أو غير ذلك ... والآن ، وحينما يكون تحت

تصرف السيد وسيلة اطلاق ممتازة ، استثنائية ، ثقب ضخم فى متراس فى باب ضخم ، فإن السيد لم يعد راضيا .

الزبون

لا تغضبى يا سيدتى ! لا تغضبى ! أنا لم أقل إنى لست راضيا ! كنت أريد أن أقول ... كنت أقول ... كنت أتصور ...

صاحبة المحل (فى غلطة)

هيا ، تكلم إذن ، أيها الأبله !

الزبون (بطريقة تثير العطف)

حسنا ، سأتكلم : يعنى لن أستطيع أن أرى منها أكثر من ذلك قليلا ؟
(يرسم بيديه فى الهواء دائرة ، أولا فى حجم طبق الفنجان ، ثم فى حجم رأس الانسان ، ثم فى حجم كرة أكبر) .

صاحبة المحل (غاضبة على طريقة الأم)

أنت تعرف جيدا أن هذا مستحيل ، هه ! لماذا توجه مثل هذه الأسئلة ؟ كيف هذا ؟ نتحايل لكى نقدم له ما يريد ! ونعد له كل شئ ! وكل شئ على وشك أن يتحقق له ! ثم ها هو ذا السيد لا يبدو راضيا ! السيد لا يريد أن يكتفى بثقب فى المتراس ! السيد يريد كوة ، يريد نافذة ، يريد بابا أو بوابة ! وماذا أيضا ! ... (ترفع كتفها) ... رح يا أخى أنت مستحيل ! ... أنت لا تستحق التعب الذى نتجشمه من أجلك .. إنسان لا تشبع ، شره لا تطاق ! ... ثم انك تضيع وقتى . لادى زبائن آخرون ينتظروننى . وأنا واثقة من أنهم لا يغالون فى طلباتهم مثلك

(تربت خده على طريقة الأم)

الزبون

آسف يا سيدتى ، أنا لم أقصد اغضابك .. أنا أعرف أنك طيبة جدا معى .. شكرا ، يا سيدتى ...

صاحبة المحل

هيا ، سأتركك وحدك ... وحدك معها ، تفاهم معها ! ... وأهنا معها (قاسية على حين بغته) ولكن تذكر اتفاقنا ...

الزبون (ذليلا)

أجل ، يا سيدتى ...

صاحبة المحل

وبخاصة ، لا تحاول أن تفتح الباب !
الزبون (محتجا فى غضب)
أوه ، كلا ، كلا ، يا سيدتى

صاحبة المحل

حتى لو ظهر منها أنها تدعوك لذلك ...
الزبون (بلهجة الانسان النظيف الذى لا يخضع لاغراء)
حتى فى هذه الحالة ، كلا ، لن أفتح !

صاحبة المحل

ستكتفى إذن بالنظر ؟

الزبون

أجل ، يا سيدتى ..

صاحبة المحل

تذكر هذا جيدا ! وتذكر أنك لن تراها إلا حينما تدق الساعة السادسة !
الزبون

... فى ساعة حجرتها ... نعم يا سيدتى .

صاحبة المحل

هذا حسن ! إذن ، إلى اللقاء يا صغيرى . أنا ذاهبة .. حاول أن تكون .. عاقلا
(تضحك ضحكة غامضة وسافلة)
(تخرج ضاحكة)

(الزبون ينتظر لحظة ، ثم يدور فى الحجرة ، يتفقد الأثاث ، يتوقف أمام الباب)

الزبون

أيها الباب الهائل الجميل ! صورة طبق الأصل من جميلتى ! .. عال متعال ، متسلط صامت ، خلاصة القول ، جدير بها ! (عائدا إلى مقدمة المنصة ومخاطبا نفسه) قل ، هل تستطيع أن تصدق ما يحدث لك ؟ هل تستطيع ذلك حقا ؟ هل هذا أنت فعلا ، أنت سيحدث لك ما سيحدث عما قليل ؟ هل هذا اليوم هو اليوم فعلا (يخرج من جيبه مفكرة ويطلع فيها) نعم ، يبدو ذلك .. هل أنا هنا فعلا ؟ (يضحك) يا له من سؤال أبله ! ... ما هو هنا هو هنا فعلا ، على الأقل فيما يبدو وأنت ، يا صاحبنى ، هل أنت أنت فعلا ؟ (يتحسس ذراعيه ،

وساقيه) . طبعا ، ما دمت تستطيع أن تلمس جسمك بيديك ! هيا فلنجلس ! ها أنت ذا أنت نفسك هنا ، عندها ، قريبا منها ، كأنك فى دارك ! ... هوم ! فلنجلس ! ... هل أخلع ملابسى ؟ لا ، ليس فورا هكذا ! ... إنتظر حتى تأتى ، إنتظر حتى تصبح هنا ! ... ولكن قد يكون من الأفضل لنا أن نكون على سجيتنا ... على الأقل قليلا ، فى رأى ! حتى تكون لنا حرية الحركة ... هيا . (يبدأ فى إفراغ جيوبه) أولا ساعتى ! ... يخرج ساعتة من جيب الصديريه ويرفعها إلى أذنه) ... كم رحت تدق أيها القلب الصغير فى انتظار هذه الدقيقة ! ... هيا ، إسترح قليلا . إسترح قليلا (يضع الساعة فى رفق فوق المنضدة الصغيرة المستديرة) ثم حافظه الأوراق ! ... (يخرج حافظته) حافظتى ! ... هنا بالداخل كل آثار حياتى ... شهادة الميلاد ، بطاقة الأسرة ، بطاقة التجنيد ، الصور الفوتوغرافية ، بصمات الأصابع ! هيا ، لتخلص من كل ذلك ! هنا ، أنا لست شيئا . لست شيئا . سوى عاشق للجنس اللطيف ! ... إذن فلا هوية ولا شخصية (يضع الحافظة . مخاطبا نفسه بطريقة مضحكة) والآن ، ما اسمك ؟ جوزيف ؟ ... جورج ؟ قيصر ؟ فت !! لا أحد ! عريان مجرد مثل الدودة وبلا وجه أيضا ، هيه ؟ (يخرج من جيب آخر مرآة صغيرة وينظر فيها مقطبا) يا للقرف ! أيها الغر الوضيع ! هلا غريت عن وجهى ! (يلقى المرآة فوق المنضدة الصغيرة) إذهى أنت أيضا أيتها الشاهدة البلهاء ! التى لا تستطيع أن تجملى ! ... ولكن الجمال ، ما دمت أحبه ، فهذا يعنى أنه حليفى ! ... أو لم أحضر إلى هنا لكى أتعبد فى محرابها ؟ (ناظرا إلى الباب) آه .. متى إذن سأستمع إلى دقاتك ؟ ... ولكن ، يا لغبانى ، فقد تمنعنى ضوضاء كلامى من سماعها (مصيخا السمع) إن مثل هذه الساعات يكون لها فى بعض الأحيان رنين رقيق ، دقيق ، بعيد ... لو حدث أن ضاعت منى أغلى ساعات حياتى ، أهم ساعات عمرى ! ... كلا ... مستحيل ، والا لما جاءوا بى إلى هنا ! لا يمكن أن يسخروا منى ! (معتقدا أنه سمع الساعة) ها هى ! أسمعها ! الدقات الأولى ! ... (خائبا) كلا ! بل هى الدماء فى رأسى ! إن فقدان الصبر يصيبنى بالجنون ! هيا ، قليلا من الهدوء ! لو ظللت هكذا فسأخلط بين الوهم والواقع ! قليلا من الهدوء ! ... قليلا من الراحة ... هنا ... فلنجلس هنا (يجلس فوق أحد الكراسى ، ويحاول الاسترخاء على حين بغتة تسمع دقات واضحة غريبة على فترات متساوية : ساعة الحجرة المجاورة تدق بطيئا معلنة السادسة . الزبون ينهض ، فريسة إثارة بالغة بحيث يصعب عليه السيطرة عليها) .

الزبون

السادسة ! ... الاشارة ! أنا ... أنا أستطيع ... ينبغي على ... لا بد أن أذهب ...
ينبغي أن أنظر ! ... أى أنه ... يا للغباء إنى لا أجزؤ ! رصاص فى ساقى ! ... ولكن كلا ،
ينبغي أن تواتبنى الجراءة ! قيل لى ذلك ! لا بد ! أنظر ، أنظر من هنا ! .. لا أهمية إن كان
هذا يبدو لك عسيرا ! ... خذ فى الاعتبار أنك ستراها ... هيا ! ... تشجع ! ...

(يفرك عينيه ثم ، يبذل جهدا كبيرا ويقترب من الباب ، يميل وينظر من ثقب المتراس
طوال الفترة التى سيستغرقها حديثه سينظر ويلق على ما يرى ، تارة يميل حتى مستوى
المتراس ، وتارة ينتصب لكى يتحدث فى مواجهة الجمهور) .

الزبون (بنشوة)

أجل ! أجل ! ... هى فعلا ! ... هى ! ... هى ! ... كما رأيتها ، كما بدت لى فى ألف
مناسبة فى حياتى ! ... هى ! ... لم أعد أستطيع أن أتكلم ! مرة أخرى ! فلأنظر إليها مرة
أخرى ! ... يا إلهى ، ما أجملها ! ... هاتان عيناها الواسعتان العميقتان ! هذه الهوينى فى
حركاتها ! ثم ... هذه ، هذه الأعضاء المكتنزة . هذه الأعضاء الممتلئة ... التى نتصورها
تحت ثوبها الطويل (يأتى بحركات تثير السخرية ، ويبدو فى حالة إثارة كأنه يداعب جسم
هذه المرأة) المرء لا يمل من النظر ... يود أن يلمس بيده هذه ... هذه الأشياء الجميلة ...
هذه ، كيف أقول ... أوه ! الكلام لا يسعفنى .. أوه ! ماذا يسمى هذا إذن ؟ كل شئ ! ...
(يأتى بحركات غريبة مضحكة ويرسم فى الهواء صورة امرأة خيالية) ولكن كيف ؟ هيا ،
هيا ، كيف : أنا فى حلم .. أنا لا أرى كل هذا ! بل أنا ألمحه ، أنا ... أنا ... أتخيله ! تحت
أجمل ثياب فى العالم ! ... (كأنه سعيد لرجوعه إلى البراءة ، وهو يجفف جبينه) نعم ، كنت
أحلم ! ... آه ! بالرشاقة مشيتها إنها تروح ! إنها تجيئ إنها تدور حول نفسها ! ... يبدو أنها
ترقص ! (هو نفسه يروح ويجيئ ويرقص بطريقة تثير السخرية والضحك) باللروعة ! يا
للرشاقة ! بلا أية ضوضاء ، بلا أى نفس ! (يلصق أذنه على الباب) بل لا أسمعها تتنفس ...
بل ولا حتى صوت الأرض تحت قدميها ... بل ولا حتى حفيف ثوبها ...

ولكن .. ها هى ذى تبتعد ، تختفى فى العمق ، فى عمق الحجرة الواسعة ! (كأنه يبكى)
أوه ! لا ، لا تذهبي ! عودى إلى ، حولى عينيك نحوى ، هاتان المرأتان ، مرآتا عمري !
أرجوك ! عودى ، اقتربى منى ! أخيرا ، ها هى ذى تعود ! كأنها تصعد من أعماق المياه .

إنها تمر خلال سحابة ، خلال أشعة ! إنها تبتسم .. إنها تأتى ! إنها ترقص ! ... ها أنت ذى إذن يا نور عيني ! ها أنت ذى يا شمسى السوداء ! .. ولكن ماذا تفعل ؟ هل هذا ممكن ؟ هل هذا ممكن ؟ هل ممكن مثل هذه السعادة من أجلى ، أنا ، عبدك الذليل ؟ ... نعم ... لقد رأت عيناى ذلك . إنها تخلع ، الواحدة بعد الأخرى ، الكهرمانتين المعلقتين فى شعرها ...

والآن ، أجل ، أجل تسحب خواتمها من أصابعها الطويلة التى تنتهى بأظافر طويلة ! ... إعجاز فى الرقة والدقة ! يبدو أنها قد سحرت هذه الحلى المعدنية وهذه الأحجار الكريمة الكبيرة : فلا صوت يصدر عنها ! وهذا بياض معصمها يتجاوز أساورها ! وعنقها يبدو أكثر علوا وأكثر إشراقا (يستمر فى تمثيل ما يراه بحركات تثير السخرية) أوه ، الآن ... الآن تنزع عنها هذه السترة القصيرة التى كانت تبرز روعة نحرها ، ودقة قوامها ونفور ردفها ! ... إنها تميل ! ... تميل ! ... من خلال فرجة الصدرية ألمح ... أوه ! ما أجمل هذا ! ما أجمل هذا ! (يضم يديه) والآن ها هى ذى تخلع حذاءها المخملى ! وتلقى به هكذا بعيدا ، وهى تلعب ! .. هى ... أوه ! أجد مشقة فى تحمل دقائق قلبى ! ها هى ذى قد حلت أزرار ثوبها وتسحبه بطول جسمها فوق الحرير اللامع ! (يخلع صديريته ويبدو فى قميصه واسع الياقة جدا ، ورباط عنقه المهل ، مع الحمالات) عند قدميها ، وحولها الأرض مفروشة بتاج من الأوراق ، بتلات سقطت من زهرة . ومن هذه الكأس المهمة يبرز تخت أسود ووردى أقصر من الثوب ، مشدود على جسد مظل (يخرج من الحمالات كتفيه لكن سرواله لا يزال ثابتا بالحزام) يا إلهى ! يا للروعة ! .. فرجات ! أكثر فأكثر ! كالأرض تلوح بين مناطق كثيفة من العشب فى مهب الريح ! .. لم يعد هناك سوى مشدات مطاطية ضيقة ! مشدودة على أحجام ! مضغوطة بين ثنايا الحرير اللامع تحت ضغط الثديين ! ... يد ثم اليد الأخرى تحلما ! فيتطاير ذلك حولها أشبه باليمام ، أشبه بالحمام ! (وهو يتحدث يخرج من جيبه منديلا ويلقى به بعيدا ، ثم رباط عنقه الذى يلقي به أيضا) . هذا هو لحمها ! لحمها هى ! هنا ! وهناك ! من جميع الجهات ، النحر ، والذراعان ، والضوء ، والظل ! غاية كل حياة ! هوة نفوسنا ! (يلقي بنفسه على الأرض راکعا دون أن تتخلى عيناه عن المتراس) وأخيرا ، أخيرا ، كل حدودها ومداراتها التى لا يملك كيانى كله إلا أن يخز أمامها ساجدا شكرا وعرفانا ...

(ابتداء من هذه اللحظة ، هزء حركاته يتحول إلى نوع من الضلال المؤثر) لا تتوقفى فى مثل هذا الطريق القويم ، يا تتويج عمرى كله ! ... إنزعى عنك آخر قطع من ثيابك ! أيضا ! أيضا ! لا تخفى عنى أى سر . كونى بكاملك وتماذك فى نظرات وبواسطتها فى يدي ، فى

دمائى ! ... آه ! ... كأنها سمعت رجائى شكرا ، شكرا يا حبيبى ! ... أنت تغمريننى ببركات الأرض جميعا ! ... ما من مكان سرى فى جسدك بقى خافيا عنى حتى لو كان أظلم من القبو وأندى ! ما من سر من أسرار مولدنا ! ... يبدو لى أن لحنا موسيقيا خالدا يطوف حولى ، فى البعد ، حتى قبل أن يسمع ! ... آه أيتها الرغبة ، آه أيتها المتعة الكاملة ! آه ، أيتها الطوفان .. اضطراب الموج يجرفنى سأتحطم على شطآنك ! ... (صمت قصير) ولكن ماذا؟ ألا تريد أن تبقى هنا ؟ ... تهزين رأسك ، كأنك تقولين لا، كأنك سمعت كلامى . أهى الحمى التى أصابتنى تستولى عليك أيضا ؟ ... لشد ما ترتعش يداك . هذه الرعدة لا تلبث أن تستولى شيئا فشيئا على جسدك كله ! ... أتراك ستشرعين فى رقصة من تلك الرقصات السحرية التى ترجع إلى العصور الأولى ؟ .. التى لا نملك أن نشاهدها دون أن نلقى حتفنا ؟ ثمة رعدة حيوانية تضطرب لها فتحات أنفك ، وتتجوف لها وجنتاك ! وعيناك تبدوان كأنهما تتراجعان وتفوران فى ظلّهما ! الهائل وصدرك يتنفس فى قوة أكثر فأكثر ، فى سرعة أكثر فأكثر ! ... الرعدة التى تصعد من كاحليك حتى تحريك ، ومن رسغيك حتى كتفك ، آه ، كم هى تمط صورتك وتبسطها . إنك تكبرين ، تطولين ، أشبه بساق من الصلب وسط لهب النار عيناك تجوفان عميقان ضياؤهما الثابت يسيبنى ! فكاك اللذان يبرز الظل نفورهما تصطكان فى فزع ورعب ، فى هوس وجنون ! ... أوه ! حبيبته ، إلام تتحولين هنا أمام ناظرى ؟

إن ردفيك وقد زلزلتهما أمواج الألم والعذاب تفكّكا جسدك الرائع ! والنور الذى كان قبل قليل يتعبد فى محراب أعضائك يغوص من الأظافر إلى داخل جسدك ! ووجنتاك ، وكنتفاك ؟ حصّاتان ، خنجران ! وعلى جانبي الترقوه ، تظهر الاضلاع مثل الشرائط المتشابهة فى زى رسمى .. فى لحظات معدودات كم تغيّرت يا معبودتى !

(النور يبدأ فى الخفوت بالتدرج وسيختفى بالكامل مع آخر كلام الزيون ، فى حين أن ثقب الباب الضخم سيظل وحده مضيفا بشدة رهيبة . فى الأثناء التى تغمر فيها هذه الظلمة الحجرة ، يسمع لحن رقيق ، حاد ملّح فى البداية يكون ضعيفا ثم يرتفع بحيث يصبح مصما للأذان ويظل لحظة قصيرة حتى بعد أن يسقط الزيون) ..

الزيون

ولكن ، ماذا هناك ؟ .. ماذا يجرى ؟ .. هذه الموسيقى ! إنها تنقُضْ على وتستقر تحت جمجمتى ، ليس بوصفها نداء كما كانت .. وإنما بوصفها أمرا لا يردّ ولا يقاوم ! ...

(ينظر مرة أخرى من ثقب القفل) .. النجدة .. النجدة ! ... تقوم ، بمحاولة أخيرة!
تريد أن تتعري أكثر ! أكثر مما تفعل أى امرأة لعاشقها ؟ ها ! هى ! إنها تدور ، وتدور ، تدور ..
تهتز ، تهتز ، ها ! هى ! أنها تلقى بعيدا بخديها ! وشفتيها !. وتديها !. جسدها جميعا !.
إنها تتنسل ! مزقا مزقا ! هوب ! للكلاب ! هوب ! للطيور ! هوب ! للديدان ... لإبناء آوى !
هوب ! هوب ! هوب ! هيا ! هيا ! لم يبق شئ ! ولا حتى العضلات ! ولا الشرايين ! ولا الجلد
١ .. آه يا جميلتى ها أنت ذى أكثر عريا ! أكثر كمالا وأكثر جمالا من أى وقت آخر .. حتى
دون لحملك ثوبا ! ... مقلتا عينيك سقطتا فوق أسنانك ! آخر حلية لك ، فتور جسدك ، لحق
بحليك الأخرى فى فوضى حجرتك . وراء عظام هيكلك ، التى تشبه قفصا خاليا ، أرى ،
أرى «فراشك» يتألق ويتلألأ ... ولكن أنت ، ما تزالين واقفة ، وتبتسمين لى ! جبينك الذى
خلا من كل أثر للشعر ، يقترب مداعبا ! يداك العاجيتان ، وذراعاك الجافتان الخاليتان
كالعبدان الجافة ، تمتدان نحوى فى رقة وعذوبة ! فقرات ظهرك المرمرية وساقاك النحيلتان
الهشتان أشبه بالأغصان المتكسرة تتقدمان للقائى ! أوه ! هيكل بشرى فارغ ! يتكسر ويتحطم
، أنيق رشيق ، ينتفض ويرتعد ! إنى قادم ، يا غرامى الوحيد ، يا حبيبة عمرى ، إنى قادم
إنى قادم ! إنى قادم !

(يندفع ، باسطا ذراعيه أمامه ، على الباب ، يرتطم به عنيفا ويسقط على قفاه ، منبطحا
على الأرض ، بلا حراك .

فى هذه اللحظة تكون الظلمة شاملة : ثقب الباب فقط يلمع بشدة . اللحن المستمر يبلغ
ذروته ويستمر لحظات أخرى .

باب اليمين ينفرج فى ببطء .. فى الاطار المضئى .. نتعرف صاحبة المحل
بهيكلها الضخم) .

صاحبة المحل (بصوت خفيض جدا يشبه الهمس)

اعتقد .. أن السيد ... راضٍ ومسرور .

سَـمَـارَة



الشخص

المستخدم : مهيب للغاية ، متفطرس ، صارم .

الزيون : رجل ضئيل الجسم . خجول ، حركاته محددة وملابسه ضيقة .

المذراع :

صوت مكبر الصوت :

ضوضاء مختلفة في الخارج : (تحرك قطار ، صغير قاطرة ، سيارات ،
منبهات سيارات ، كوابح (فرامل) ، وصرخة ألم .)

(مكتب استعلامات فى إحدى الإدارات . قاعة عادية مقسومة نصفين بواسطة فاصل من القضبان الحديدية وشباك تذاكر : إلى اليمين ، خلف الشباك ، يوجد المستخدم جالساً إلى طاولة فى مواجهة الجمهور . الطاولة مثقلة بالسجلات والكتب وغيرها من الأشياء . فى أحد الأركان مدفأة بماسورة معوجة . على الجدار يتدلى معطف وقبعة المستخدم . مظلة المفتوحة تجف أمام المدفأة .

ناحية «الجمهور» باب فى أقصى المنصة . إلى يسار الباب لافتة عليها عبارة «دخول» . إلى اليمين ، لافتة عليها عبارة «خروج» . مقعد دكة بحذاء جدران القاعة . على الجدار جهة الجمهور ، لافتة كبيرة تقول : «عليكم بالإيجاز» جهة المستخدم لافتة مماثلة تقول «عليكم بالصبر» .

عند رفع الستارة ، يشاهد المستخدم غارقاً فى مطالعة كتاب . يقرأ فى صمت وهو يحك رأسه بين الفينة والفينة بسكين الورق .

الباب ينفرج : يظهر رأس الزبون ، وجه مضحك عليه علامات القلق على رأسه قبعة زال لونها .. الزبون يتجراً ويدخل . يبدو فى غاية الوجل والرغبة . يتقدم بضعة خطوات على أطراف أصابعه ويتطلع حوله : فى أثناء رجوعه يلاحظ اللافتتين المعلقتين على جانبى الباب : «دخول» و«خروج» يبدو مترددا لحظة ، ثم يخرج كما دخل : ولكن سرعان ما نسمعه يطرق الباب . المستخدم الذى لم ينتبه إليه قبل الآن يرفع رأسه على حين بفته ، ويغلق كتابه محدثاً ضجيجاً ...

المستخدم (زاعقا بلهجة متفطرسة)

أدخل !

(الزيون لا يدخل)

المستخدم (بصوت أعلى)

أدخل !

(الزيون يدخل وهو أكثر فزعا)

المستخدم (متوجها نحو شباك التذاكر)

عفوا يا سيدى ... أهذا مكتب الاستعلامات ؟

المستخدم (وهو يفتح الشباك محدثا ضجيجا)

نعم !

الزيون

آه ! حسنا ! حسنا جدا ! حسنا جدا ! الحقيقة أننى كنت أريد

المستخدم (مقاطعا إياه فى غلظة)

تريد أن تستعلم عن شئ ؟

الزيون (سعيدا)

نعم ! نعم ! بالضبط ، بالضبط ، . كنت أريد

المستخدم (بالطريقة نفسها)

إذن ، فانتظر !

الزيون

عفوا ! ماذا انتظر ؟

المستخدم

انتظر دورك ، إنتظر حتى نناديك !

الزيون

ولكننى وحدى هنا !

المستخدم (بوقاحة وغلظة)

غلط ! نحن اثنان ! خذ (يعطيه حديدة) هذا رقمك ..

الزبون (وهو يقرأ الرقم على الحديدة)

رقم ٣٦٤٠ ؟ (بعد إلقاء نظرة على القاعة الفارغة) ولكن .. أنا وحدي !

المستخدم (حائقا)

أنت تتصور أنك الزبون الوحيد اليوم ، أليس كذلك ؟ اذهب واجلس وانتظر حتى أناديك .
(يفلق الشباك محدثا ضجيجا .. ينهض ويذهب لفتح المذياع . أغنية تافهة (لمطرب درجة
ثالثة) تطفئ على المشهد .. الزبون يتوجه للجلوس مستسلما ..

المستخدم يتفقد مظلته ، يجد أنها جفت فيعلقها ويتوجه ليعلقها على المشجب . ثم يبرى
قلما ، ويترنم باللحن الذى يسمعه ، وأخيرا يعود إلى المذياع ويدير المفتاح فيستبدل بالأغنية
نشرة الأحوال الجوية) .

المذياع

سيستمر الجو غائما بصفة عامة على البلاد مع انخفاض فى درجة الحرارة مما يتسبب عنه
الإحساس بالبرودة ... (حين سماع هذه الكلمات يقوم المستخدم بوضع كمية من الفحم فى
المدفأة ويقوم الزبون برفع ياقة معطفه) ... أمطار خفيفة متقطعة على المناطق الممطرة ،
وعواصف ثلجية فوق أعالي الجبال ، ويستمر الطقس المعتدل فى المناطق المعرضة للشمس
... استمعتم إلى نشرة الأحوال الجوية .

(المستخدم يفلق المذياع ، يفرك يديه طويلا ، يذهب ويجلس إلى الطاولة ، يفتح الشباك و

(.....

المستخدم

رقم ٣٦٤٠ ! (الزبون مستغرق فى التفكير ، فلا يسمع . المستخدم ينادى بصوت أعلى) قلت
رقم ٣٦٤٠ !

الزبون (يفيق فجأة من تأملاته وينظر بسرعة إلى حديدته)

أنا !. أنا !

(ينهض ويقترب من الشباك)

المستخدم

الحديدة !

الزبون

آه ! عفوا ! لا مؤاخذه ! ها هي ذى .

(يقدم الحديده)

المستخدم

شكرا !

الزبون

سيدي ، كنت أريد بالضبط أن أسأل عن

المستخدم (مقاطعا إياه)

اسمك ؟

الزبون

اسمى ؟ ولكن ...

المستخدم

ليس هناك ، ولكن ، ما اسمك ؟

الزبون

هذه ... هذه بطاقتى .

(يبحث فى جيبه ويخرج منه حافظه ... ولكن المستخدم يوقفه)

المستخدم

أنا لا أريد بطاقتك ، أنا أسألك عن اسمك .

(يصدر عن الزبون غمغه غير واضحة)

المستخدم

كيف تكتب هذا ؟ تهجى من فضلك !

الزبون

م .. س .. ش .. ب .. ص .. ل .. ت .. ح .. د .. ك .. ل .. ج .. و .. ب

المستخدم

تاريخ ومكان الميلاد ؟

الزبون (فى دفعة واحدة)

ولدت أواخر القرن الماضى فى الغرب .

المستخدم

بالتحديد ! ه تريد أن تضحك منى ؟

الزبون

أبدا ، أبدا ، يا سيدى بالتحديد أنا ولدت فى مدينة «رين» عام ١٨٩٧ .

المستخدم

حسنا ، المهنة ؟

الزبون

فى المعاش

المستخدم

رقم البطاقة ؟

الزبون

فئة (أ) رقم ج ٩٨٩٦ ب ٤ ش م ص ل ٧٤٠ ، ٤ ب ٥ أم ٣ مليون و ٦٧٢ ألف و ٨٦٣

المستخدم

هل أنت متزوج ؟ هل لك أبناء ؟

الزبون

عفوا يا سيدى ، هل تسمح لى ... أن أندesh قليلا ؟ لقد جئت هنا ... لكى أسأل عن بعض المعلومات ... وها أنت ذا الذى تسألنى ! ... أنا ...

المستخدم

وجه إلى الاسئلة حينما يحين دورك ... أنا أسألك هل أنت متزوج ، هل عندك أبناء ! نعم أم لا ؟

الزبون

نعم ... لا ... أقصد ...

المستخدم

ماذا تعنى بأقصد ؟

الزبون

النهاية ! آه شيء مؤسف !. وأنا الذى كنت على عجلة ...

المستخدم

إذن ، اذا كنت على عجلة إلى هذا الحد فمن الخير لك أن تجيب بسرعة ، ولا تردد .

الزبون

ايه ، هذا صحيح ، أنا متزوج ، وعندى أبناء ... اثنان ...

المستخدم

العمر ؟

الزبون (مغيظا ، يكاد أن يبكى)

أوه ! لا أعرف ، أنا ... صنع عشرة أعوام للبنات وثمانية للولد .

المستخدم

أنت ، عمرك أنت ؟

الزبون

ولكننى أخبرتك بتاريخ ميلادى قبل قليل !

المستخدم

تاريخ الميلاد والعمر شيان مختلفان لكل منهما خانة مستقلة فى قسيمة الزبون ...

الزبون

آه .. هذا معناه أنكم تحررون قسيمة لكل من يأتى هنا ... لطلب معلومات ؟

المستخدم

بالتأكيد! وكيف يسير العمل دون ذلك ؟ وسألتك عن عمرك ! ... أجب ...

الزبون

إذن ، فانتظر . (يجرى عملية حساب ذهنية) ١٩٥٢ ناقص ١٨٩٧ ٧ من ١٢ يبقى ٥ -

٨٩ من ٩٥ يبقى ١٦ . إذن ٥ + ١٦ = ٢١ . كلا ١٦ و ٥ ، ١٦٥ سنة ! كلا .. هذا لا يمكن .

لحظة . أبدأ من جديد ...

المستخدم (يرفع كتفيه استخفافاً)

لا داعي ! أنا حسبتها ! عمرك ٥٥ عاما بالضبط

الزبون

نعم . هذا صحيح ، هذا صحيح ! شكرا ، يا سيدى !

المستخدم

لماذا لم تقل ذلك من البداية ؟ كم من الوقت يضيع مع الزبائن غير المدربين . والآن أخرج لسانك .

الزبون (مخرجاً لسانه)

هاك !

المستخدم

جيد .. لا شئ يستحق الذكر ... أرنى يديك !

الزبون (عارضاً يديه)

هاك !

المستخدم (ناظراً فيهما بامعان)

هوم ! خط الموت يقطع خط الحياة .. هذه علامة شؤم .. ولكن .. عندك خط العيش ! من حسن حظك ! .. هذا جيد .. يمكنك أن تذهب وتجلس ..

الزبون

كيف ؟ حتى الآن لا أستطيع أن أسألك عن بعض المعلومات ؟

المستخدم

ليس الآن ... انتظر حتى نستدعيك ..

(يغلق الشباك محدثاً ضجيجاً)

الزبون (يائساً وباكياً)

ولكن يا سيدى ، أنا مستعجل ! سيدى ! ... زوجى وأبنائى فى انتظارى ، سيدى .. كنت أريد ... أن أسألك .. عن بعض المعلومات العاجلة ، يا سيدى ! ... (فى هذه اللحظة يسمع

صغير قطار يتحرك) أنت ترى أننا فى محطة ، يا سيدى ، أو قريبين منها . كنت أريد بالضبط أن استشيرك بخصوص قطار استقله ، يا سيدى .

المستخدم (وقد لان ، فاتحا الشباك)

أكان ذلك بخصوص مواعيد القطارات ؟

الزبون

نعم . وأسئلة أخرى . أولا بخصوص مواعيد القطارات ، يا سيدى . لذلك فقد كنت على عجلة من أمرى .

المستخدم (فى غاية الهدوء)

لماذا لم تقل ذلك من البداية . ! ماذا تريد .

الزبون

حسنا .. كنت أريد ، يعنى ، كنت أرغب فى أن استقل القطار المتوجه إلى بروفانس ، لألتقى بقريب عجوز كان ...

المستخدم

القطارات المتوجه إلى إيكون بروفانس تتحرك فى الساعة ٦,٥٠ ، ٩,٣٠ (أولى وثانية فقط) والساعة ١٣ (تذكر أسرة كثيرة العدد) والساعة ١٤ (للأعزاب) والساعة ١٨,٢١ (جميع الدرجات وجميع الأعمار وجميع الاجناس) .

الزبون (متابعا فكرته)

شكرا ، شكرا جزيلًا . أجل ، كنت أريد أن أصل إلى إيكون بروفانس لألتقى بعمّ لى هناك وهو موثق عقود عجوز صحته تتدهور يوما بعد يوم ، ولكن ..

المستخدم

ادخل فى الموضوع ، أرجوك

الزبون

طبعًا ، عفوا . كان ذلك لكى أصل إلى التالى : أحب ، بل أتمنى أن أضم إلى صدرى مرة أخرى عمى هذا المقيم فى إيكون بروفانس . ولكنى بدأت أتردد فعلا بين السفر إليه وبين السفر إلى مدينة بريست فالواقع أن لى فى «بريست» ابنة عم مريضة هى أيضا ، والحقيقة أننى أتساءل هل ...

المستخدم (بلهجة قاطعة)

القطارات المسافرة إلى «بريست» هي : حافلة الساعة السابعة ، قطار أزرق في التاسعة ، قطار أخضر في العاشرة ، حافلة الساعة الخامسة عشرة مع تغيير في مدينة «رين» قطار ليلي في الساعة العشرين ، ٤٥ دقيقة يصل «بريست» الساعة الرابعة و ٣٠ دقيقة .

الزبون

آه ، شكرا ، شكرا جزيلًا ، يا سيدى . طبقا لمعلوماتك هذه أراك تميل إلى زيارة ابنة عمى فى «بريست» ، أكثر من رؤية عمى العجوز فى إيكون بروفانس .

المستخدم (جافا)

أنا لم أقل شيئا من هذا القبيل .. أنا اعطيتك مواعيد القطارات ، فقط لا غير ...

الزبون

طبعًا ، ولكن إما أن أكون مخطئا ، وإما أنني شعرت بأنك تبدى نوعا من الميل ، نوعا من التفضيل لابنة عمى فى بريست . وأنا اشكر لك ذلك ، أجل ، أشكر لك ذلك ، مع أن ذلك سيكون على حساب عمى العجوز الذى أكن له حبا يمكن ...

المستخدم

ولكنك ، يا سيدى حرّ فى اتخاذ ما يحلو لك من قرارات . هذا شأنك ، سبحان الله ! أنا هنا لأعطيك المعلومات وحسب . (الزبون لا يرد . المستخدم ما يزال حائقا . ولكنه يضيف بنوع من التلطف) وأخيرا ، يا سيدى أجب !

الزبون (فى غاية الحزن والرقّة)

لست أنا الذى ينبغى أن يجيب ، يا سيدى . وإنما أنت ... وأنا الذى طالما تمنيت نصيحة ، لأعرف ما ينبغى أن أفعله ... ما ينبغى أن أفعله ... أى وجه أتخذ .. أى قطار ... استقل ..

مكبر صوت (من بعيد ، بلهجة غريبة حاملة)

نرجو السادة المسافرين على جميع القطارات الاستعداد .. السادة المسافرون ، رجاء الانتباه .. السادة المسافرون ، القطار سيتحرك بعد قليل . القطار ، السيارة ، الجواد على وشك الرحيل .. انتباه ... استعدوا !

الزبون (يعود إلى سؤاله)

أجل ، أرجو أن أعرف أى وجهة أتخذ ... فى الحياة ... وبنوع خاص ...

المستخدم (ما يزال غاضبا ، قاطعا عليه الحديث)

أسرع ، ليس عندى وقت لأضيّعه . ماذا تريد أن تعرف ؟

الزبون

لا أجرؤ على أن أقول لك ذلك ...

المستخدم

لسنا هنا فى مجال العواطف .

الزبون

أعتقد عكس ذلك فى المحطات ... فهناك الكثير من الذهاب والاياب ، الكثير من اللقاءات .
فهذا مجال كبير للقاءات .

المستخدم

هل أنت على موعد مع أحد هنا ؟

الزبون

يعنى ، نعم ، ولا ، أقصد ...

المستخدم

امرأة ، طبعا ؟

الزبون (سعيدا)

نعم ، هو ذاك : امرأة .. كيف عرفت ذلك ؟

المستخدم (رافعا كتفيه)

من لباسك ، طبعا !

الزبون

كيف من لباسى ؟

المستخدم

أليس لباسك لباس رجل .

الزبون

بالتأكيد !

المستخدم

فاستنتجت من ذلك أنك رجل .. هل أنا مخطئ ؟

الزبون

كلا ، بالتأكيد .

المستخدم

حسنا ! إذا كنت رجلا ، فأنت تبحث عن امرأة . هذا شيء بسيط !

الزبون

يا للحصافة ! ... يا للودعية ! وما أبسط ذلك : رجل ... إذن امرأة .

المستخدم

شيء بديهي ... ولكن عن أى امرأة تبحث ، عن أى نوع ؟

الزبون

امرأة من نوع «فتاة أحلامى»

المستخدم

انتظر حتى أنظر فى القسائم التى عندى .. قلت إن اسمك .. يبدأ بحرف الميم وينتهى بحرف الباء (يتصفح القسائم) ها هى ذى : امرأة سمراء اسمها «ريتا كاراكيللا» عبرت الشارع الساعة ١٥,٤٥ متوجهة ناحية الجنوب الغربى . هل هذا صحيح ؟

الزبون

لا أظن .. إن فتاة أحلامى أقرب إلى أن تكون شقراء ... شقراء بل صهباء . يعنى بين .. بين .. بين ..

المستخدم (يبحث مرة أخرى فى القسائم)

إذن ، لعلها تكون هذه . الآنسة «روزا بولفييه» ، عارية (مدققا فى القراءة) كلا ، آسف .
عارضة أزياء ستجتاز ممر العمارة المواجهة غدا فى التاسعة صباحا ، فى طريقها إلى زبونه
اسمها السيدة «كوشوا» التى ...

الزبون (حزينا)

كلا ! لا فائدة ، يا سيدى . لا يمكن أن تكون هذه . والا لما جئت إلى هنا

المستخدم

فى هذه الحالة ، أنا آسف : فليس لدينا أحد بين الساعة ١٥,٤٥ اليوم وغدا التاسعة صباحا ،
يمكن أن ينطبق على حالتك . أهذا كل ما تريد ؟

الزبون

كلا ! ليس هذا كل شيء .. أريد أن أعرف رأيك ، بالضبط فى طريقة حياتى ..

المستخدم

فسر كلامك ! بعض التفاصيل ...

الزبون

بكل سرور .. أنا أصحو فى الصباح مبكرا .. وأشرب كوبا كبيرا من القهوة . هل هذا مفيد
بالنسبة لصحتى ؟

المستخدم (مهيبا وبلهجة قاطعة)

أضف إليها قليلا من الحليب ، هذا أفضل .. وبصفة خاصة من أجل الامساك ..

الزبون

آه ! طيب شكرا ! اسمح لى أن أسجل هذا !

(يسجل بسرعة فى مفكرته)

المستخدم

أكمل !

الزبون

من ناحية أخرى ، ولكى أصل الى مكتبى فى الصباح ، استعمل السكة الحديدية ، قطار العاصمة ، وحينما يتاح لى الجلوس (وهو ما يحدث نادرا) أقرأ فى العادة إحدى الصحف الكبرى المتخصصة فى الإعلانات .

المستخدم (قاسيا)

لماذا ؟

الزبون

يعنى ، لا أدري ، لقضاء الوقت ، لكى لا أنسى الهجاء .. لكى أكون على علم بمجريات ..
المستخدم

على علم بمجريات ماذا ؟

الزبون (دفعة واحدة)

كل شئ .. ما يجرى ... هنا وهناك

المستخدم

لا فائدة ! ليس هناك ما تعرفه . ثم إننا لا نستطيع أن نعرف كل شئ . أفضل لك أن تقرأ مجلة أطفال . هذا رائع فهذا ينقى الدم ويساعد على الهضم ويقلل من السمنة .

الزبون

حسن ، يا سيدى ، حسن ، أسجل أيضا هذه المعلومة القيمة (يسجل) قلنا : قهوة بالحليب ... من أجل الامساك ... مجلة أطفال ، للهضم .. (فى زفرة) .. آه ! كل ذلك لن يعيد لنا الفردوس المفقود !

المستخدم

اقرأ «ميلتون» أو الجزء الثالث من الكوميديا الالهية !

الزبون

أقرأ ذلك يا سيدى أقرأ هذه الكتب الرائعة . ولكن الآفاق المترامية الأطراف التى تعرضها هذه الكتب لخيالنا لم اصادفها بعد بين ميدان المحطة الذى اسكن فيه وشارع الإسعاف حيث يوجد محل عملى ..

المستخدم

خذ طريقا آخر .

الزبون

لقد حاولت . لقد حاولت يا سيدى اتأكد من ذلك . ولكن الوضع لم يتغير ، لم يتغير بالمرّة . بل بالعكس . فكلما ركبت القطار زاد اعتقادى بأن الفردوس يبتعد عنى ..

المستخدم

هل جريت اليأس ؟

الزبون

ألا ... ماذا ؟

المستخدم (كأنه يخاطب شخصا أصم)

اليأس الميتافيزيقى .. يعنى القلق ، قلق اليأس ، أو التعامل مع اللاوعى أو وعيك الباطن ، الإنسان السفلى ،

الزبون

للأسف ! هذا ما أعرفه جيدا ، الإنسان السفلى ١ إنه يكثر بصفة خاصة فى طرق الأنفاق .

المستخدم

بالضبط .. ألم تشعر بنوع من الارتياح المعنوى وأنت تلاحظ مدى التشابه بين الفلسفات التعتميمية ، والنظريات الخاصة بالقلق واليأس ... مع ... أقصد مع حالتك ؟ هناك نوع من الاتساق ، من التوافق الجمالى ، الإسطاطيكي الذى من شأنه أن يدخل عليك البهجة والسرور ، أليس كذلك ؟

الزبون (وهو يهز رأسه)

بل قل إن تصوير الجحيم يردنى إلى جحيمي اليومى ، بحيث إننى أغرق فيه كل يوم قليلا . آه ... يا سيدى قلت ذلك بالأمس لرئيسى فى العمل :

لقد قال الشاعر «توفيل غوتيه» :

لو كان للطيور أجنحة

لطارت معها

أو شيئا قريبا من هذا .

المستخدم (رقيقا ولكن حازما)

ولكن ، عفوا ، الطيور ، لها أجنحة .

الزبون (وقد خاب أمله)

هذا صحيح ! ... إذن ما العمل ؟

المستخدم (بلهجة طبيعية جدا)

اشغل نفسك بعمل عظيم : كن رجل أعمال ، أو كن غازيا ، أو رجل دولة ! وسوف ترى : ستشعر بنوع من التحسن .

الزبون

لقد فكرت فى ذلك كثيرا . ولكن ما الوسيلة ؟ الأمر ليس بسيطا إلى هذا الحد .

المستخدم

أوه ، مع قليل من التعود ! ... خذ مثلا .. أنا شخصا : ألم أصل إلى مركز مرموق ؟

الزبون (باحترام)

هذا صحيح ! ... ولكننى لا أتمتع بقدرتك ، بنفوذك ... كلا ، أنا خلقت من أجل الأحلام ..

المستخدم (بلهجة أمر عسكرى)

إذن ، فاحلم !

الزبون

بالتأكيد ، أنا أحلم . أحلم كلما سنحت لى الفرصة . وبخاصة حلم اليقظة طبعاً لأننى حينما أنام .. طبعاً لا شئ ، فتحة سوداء . إذن فأنا أحلم بالنهار ، فى الشارع ، فى المطعم ، فى المكتب ، وهذا يساعدنى على الحياة : وللأسف أحلامى مهزوزة غير واضحة . أجل ، ينقصنى الوضوح أود أن أضفى عليها شيئا من التماسك ، مزيدا من الألوان .

المستخدم (بلهجة عادية وبلا تعاطف)

أنت مخطيء . لو كنت مكانك ، ووصلت إلى الدرجة التى أنت فيها ، لاجتزت بقفزة واحدة الهوة التى تفصلنى عن الحياة الأبدية .

الزبون

ولكن ماذا تقصد بالحياة الأبدية ؟

المستخدم (بعظمة)

أقصد بذلك أن تحيا روحاً ، بالروح ومن أجل الروح ، واعتبار أحداث الحياة العارضة ، ما
يجرى فى الواقع ، كأن لم يكن . هل تتابعنى ؟

الزبون

آه أتابعك يا سيدى . يا لحماستى وأنا أتابعك هكذا .. حتى نهاية العالم .

المستخدم (وقد أصبح شاعرياً)

سأقودك إلى أبعد من نهاية العالم : هناك حيث الأشكال تتحول إلى أفكار ، حيث الكائنات
تتحول إلى جوهر ، حيث يسود نور ثابت فى اتساق وتوازن بين مستقبل مضى فعلاً وماضٍ
آت .

الزبون (منتشياً)

إنى أرى ... إنى أرى ... أى أمطار من النجوم !

المستخدم (مصححاً)

إنه حتى لم يعد هناك نجوم !

الزبون (وديعاً)

إذن أى أمطار من عدم النجوم !

المستخدم (مدهشاً)

أى عدم ! أى عدم ! أين أنت ؟

الزبون (بصوت غامض أشبه بطفل مفقود)

هنا ! .. هنا !

المستخدم (مبالغاً)

خطأ .. أنت لم تعد هنا ولا فى أى مكان . أنت لست فى أى مكان .

الزبون

ومع ذلك فأنا أسمعك .. أسمع انعدام صوتك يقول عدماً من الألفاظ .. أنا لم أعد : أنا كنت
.. لم أعد أتعذب : لقد تعذبت . لم أعد أعيش : لقد عشت .

المستخدم (قاطعا ولكن ملهما)

روحاً .

الزيون (باللهجة نفسها)

أنا روح .

المستخدم (باللهجة نفسها)

أنا أملك أجنحة الرح .

الزيون

أنا أطير بجوارك ..

المستخدم

وداعا ، أبتها الأرض الصغيرة ، وداعا ، وداعا .

الزيون (ملوحا بمنديله)

وداعا ، يا فقاعة الأرض الصغيرة .

المستخدم (ملوحا أيضا بمنديله)

وداعا ، وتمنياتنا لك بالتوفيق فى الاستمرار ...

(ضجيج منبه إحدى السيارات يدوى بطريقة مزعجة ، يتبعه انطلاق عدة سيارات ، يخرجهما من نشوتهما . ينظر كل منهما إلى الآخر باندھاش . ويشرعان فى الحديث بلهجة عادية) .

المستخدم

هيه ؟

الزيون

ماذا ؟

المستخدم

كيف ؟

الزبون

عفوا ؟

المستخدم

كنا نقول ؟

الزبون

كنت أقول إن ...

المستخدم (مدعنا)

أنا أسمعك

الزبون

أنا ... عندي سؤال آخر ...

المستخدم

ما هو ؟

الزبون (بمكر)

هو ذاك : فى رأيك : ماذا سيكون مصيرى ، فوق هذه الأرض ؟

المستخدم

لكى أتمكن من الإجابة على سؤالك ، لابد أن أطلع حظك (دقيقة ، من فضلك .) (يبحث فى أوراقه) آه ! معلومة واحدة تنقضى فى أى شهر ، وفى أى يوم ، وفى أى ساعة كان مولدك ؟

الزبون

أول مايو التاسعة ، ٣٥ دقيقة مساء .

المستخدم

جيد . والآن انظر ماذا يكون : الأسد كان يدخل مع البقرة فى مجموعة كوكب الوطواط مصاص الدماء وغاليليو كان يبتعد عن أبو زيدون ... ولكن أبناء إيمون الأربعة كانوا يتقدمون فى أبهة وعظمة فوق تاج ميدوزا . وكان الباركلييه يتحد مع لوسيفير ، حينما قامت السيدة والدتك بولادتك ..

الزبون

ماذا ؟ لقد وقعت أحداث شتى فى السماء لحظة مولدى .

المستخدم

لا تقل لحظة مولدى ، بل قل من أجل مولدى .

الزبون (مبتسما)

ترى كل هذه التحولات السماوية ، ماذا أعدت لى ؟

المستخدم (باردا)

هذا يتوقف .

الزبون

كيف هذا يتوقف ؟ هل يمكن للقدر أن يتوقف على الملابس ؟

المستخدم

لم تفهمنى جيدا . أريد أن أقول : هذا يتوقف على أسللتك . فحسب أسللتك أجيبك .

الزبون

آه ! طيب ! أنت تطمئننى .. شكرا ..

المستخدم (بطريقة تثير القلق)

لا شكر على واجب .

الزبون (وقد بدأ يشعر بالقلق ولكنه يحاول أن يضحك خفيفا ليطمئن نفسه)

ستجعلنى أعتقد بأنه ليس لى مصير .

المستخدم

لعل ذلك يكون أفضل .

الزبون

كفانا مزاحا .

المستخدم (متنتنا بأصبعه على طاولته)

فعلا .

الزبون

ما السؤال الذى ينبغى أن أوجهه إليك .

المستخدم (بلا تعاطف)

إذا كان ينبغي أن أوجه لك سؤالاً لكى تعرف السؤال الذى ينبغي أن توجهه إلى فلن ننتهى أبدا . أنا لست أبا الهول ... ولا أوديب ..

الزبون

بالتأكيد .

المستخدم

ولا أنت كذلك

الزبون

مفهوم .. آه ! ماذا أقول ... آه وجدتتها : سؤال بسيط سؤال عادى جدا . الموضوع ليس عاجلا وأمامى فرصة طويلة للتفكير فيه . سؤال عن مستقبلى : مثلا (مبتهجا) متى سأموت

(المستخدم بابتسامة رقيقة جدا وفظيعة جدا)

أخيرا ، وصلنا إلى المهم : خلال بضع دقائق ، يا سيدى العزيز . عند خروجك من هنا

الزبون (غير مصدق وساخرا)

آه ! حقا ! هكذا ! عند خروجى من هنا ؟ ولماذا ليس هنا بالذات ؟

المستخدم

سيكون الأمر صعبا قلا يوجد هنا ما ينبغي . لذلك لا أحد يموت هنا .

الزبون (مشيرا إلى نفسه)

آه ! لا يوجد هنا ما ينبغي لذلك ؟ ومدفأتك ، ألا يمكن أن تحترق ، أو أن تخنقنا ؟ والمبنى ، ألا يمكن أن ينهار فوق رؤسنا ؟ و ... مظلتك ؟ و ... حافظتك ؟ ومشقتك هذه الصغيرة الحقيرة ؟

(يشير إلى الشباك . المستخدم يقفله بكل غلظة وقسوة ثم يفتحه فى الحال)

المستخدم

لقد وجهت إلى سؤالاً ، وأنا أجبتك . الباقي لا يخصنى .

الزبون (رافعا كتفيه)

إذن ، سأوجه إليك سؤالا آخر : أليس هناك من وسيلة لتجنب كل ذلك ؟
المستخدم (حاسما)

أبدا .

الزبون (وهو ما يزال غير مصدق)

لا شئ أبدا ؟ لا شئ بالمرّة ؟

المستخدم (بطريقة قاطعة)

لا شئ بالمرّة .

الزبون (حادا على حين بفتة)

حسنا ... حسنا ... أشكرك .. ولكن ..

المستخدم

ولكن ماذا ؟ أظن أن هذا كل شئ ، أليس كذلك ؟

الزبون

يعنى ... كنت أريد أن أسألك متى ... أسألك إذا ... وأخيرا كيف ..

المستخدم (مقاطعا إياه)

متى ، وإذا وكيف ؟ (يرفع كتفيه) كنت أتصور أن سؤاليك الأخيرين ، أو بالأحرى إجابتي
على هذين السؤالين ، تجعل جميع الأسئلة الأخرى بلا فائدة ، على الأقل فيما يتعلق بك أنت
...

الزبون (مذعورا)

إذن فهذا صحيح ! ...

المستخدم (منتعشا قليلا)

لو أنك كنت قد بدأت بذلك لكنت قد وفرت على نفسك وعلى كثيرا من المتاعب . وكم من
الوقت ضاع سدى !

الزبون (وقد عاد ذليلا هيا با كما كان فى البداية)

إذا كان هذا صحيحا ، أوه سامحنى يا سيدى . الفضول ، أليس كذلك ؟

الزبون (رافعا كتفيه)

إذن ، سأوجه إليك سؤالا آخر : أليس هناك من وسيلة لتجنب كل ذلك ؟
المستخدم (حاسما)

أبدا .

الزبون (وهو ما يزال غير مصدق)

لا شئ أبدا ؟ لا شئ بالمرّة ؟

المستخدم (بطريقة قاطعة)

لا شئ بالمرّة .

الزبون (حادا على حين بفتة)

حسنا ... حسنا ... أشكرك .. ولكن ..

المستخدم

ولكن ماذا ؟ أظن أن هذا كل شئ ، أليس كذلك ؟

الزبون

يعنى ... كنت أريد أن أسألك متى ... أسألك إذا ... وأخيرا كيف ..

المستخدم (مقاطعا إياه)

متى ، وإذا وكيف ؟ (يرفع كتفيه) كنت أتصور أن سؤاليك الأخيرين ، أو بالأحرى إجابتي
على هذين السؤالين ، تجعل جميع الأسئلة الأخرى بلا فائدة ، على الأقل فيما يتعلق بك أنت
...

الزبون (مذعورا)

إذن فهذا صحيح ! ...

المستخدم (منتعشا قليلا)

لو أنك كنت قد بدأت بذلك لكنت قد وفرت على نفسك وعلى كثيرا من المتاعب . وكم من
الوقت ضاع سدى !

الزبون (وقد عاد ذليلا هيا بأ كما كان فى البداية)

إذا كان هذا صحيحا ، أوه سامحنى يا سيدى . الفضول ، أليس كذلك ؟

المستخدم (بخبث)

هذا حسن ! ولكن لا تكرر ذلك مرة أخرى ، هيه ؟

الزيون (بطريقة مؤثرة)

وا أسفاه !

المستخدم

جميع المعلومات التى طلبتها منى ، قدمتها لك ...

الزيون (متزلفا)

هذا صحيح ، يا سيدى ..

المستخدم

لا تشكرنى ، أنا قمت بواجبى .

الزيون

أه هذا صحيح .. أنت موظف مثالى ..

المستخدم (متواضعا)

أنا لا أبغى إلا شيئا واحدا : ارضاء الزبائن ..

الزيون

شكرا يا سيدى ، شكرا جزيلا .. من أعماق قلبى ... (يتوجه إلى الباب ، ثم يغير رأيه) المهم ، كم حسابى ؟

المستخدم (بعظمة وكرم)

لا تشغل بالك بهذا الموضوع فان الفاتورة ستصل إلى ورثتك .

الزيون

شكرا .. شكرا جزيلا .. إذن .. إلى اللقاء ، يا سيدى ..

المستخدم (ناهضا بنوع من الإحترام الجنائزى)

وداعا ، يا سيدى !

السيد أنا

Monsieur Moi

(حوار مع مخاطب بارع)

DIALOGUE

AVEC UN BRILLANT PARTENAIRE

السيد أنا ، شخص مدع يتشدد بالألفاظ .
المخاطب ، أشبه ببهلوان منبسط الأسارير ، أبله أحمر الشعر يرتدى ملابس فضفاضة . لا يتحدث الا بالألفاظ التعجب والاندعاش .
(المشهد لا يمثل شيئا : غارق فى الظلام . الشخصان يصلان ببطء ، كل منهما يحمل مصباحا ينير وجهه بالذات) .

السيد أنا

أنت يا من ظل يصبحنى حتى هنا ، توقف ، لو سمحت ؟ كفى . ولا تتقدم أكثر من ذلك .

المخاطب

حسنا ، حسنا ، حسنا ، حسنا :

السيد أنا

ولنضع هذين المصباحين ، لننشط أصابعنا .

(يضع كل منهما مصباحه فوق الارض)

السيد أنا

هكذا .

المخاطب

أوف !

السيد أنا

حسنا فعلنا .

المخاطب (مصفقا مفتبطا كأنه يهنئ نفسه)

برافو ! برافو :

السيد أنا

طبعاً ستسألنى لماذا توقفنا ؟

المخاطب

نعم ، ... طبعاً

السيد أنا

كنت أتوقع هذا السؤال فعلاً . أشكرك لأنك وجهته إلى . أنت دائماً سباق .

المخاطب (طرباً)

هيه ، هيه :

السيد أنا

عظيم : ولكن قبل أن أجيب على سؤالك ، أرجوك أن تتأملنى قليلاً فى الوضع الذى أنا فيه ،
أى بالضبط عند النقطة التى وصلنا إليها .

(المخاطب يرفع المصباح ويحركه فى كل الاتجاهات حول السيد أنا وهو يتأمل به بانتباه)

السيد أنا

ضع هذا المصباح . ينبغى أن تتأملنى بعينى بصيرتك لا بصرك .

المخاطب (واضعاً المصباح)

(يستجمع حواسه ويركز انتباهه مقطباً ما بين حاجبيه)

السيد أنا

أجبنى : هل أنا كما ينبغي أن أكون : رجل عاقل ، بلغ منتصف الطريق ، ألسنتك كذلك فعلا ؟
المخاطب (بكل مجاملة وزلف)

آه طبعاً : طبعاً ، طبعاً

السيد أنا

هكذا اذن ، رجل عاقل ، يقيس ويقدر ، ويقارن ، ويجمع ، ويطرح .
باختصار يعكف على القيام بعمليات صحيحة : أهذا هو أنا ؟
المخاطب (حازماً جازماً)

واحد واحد ، بوم !

السيد أنا

ذلك على الأقل هو الانسان الذى كنته على الطريق التى كنا نسير فيها .
قبل أن نتوقف . ثم توقفنا ، أليست هذه هى الحقيقة ؟
المخاطب (وهو يمثل حركة التوقف)

كراك !

السيد أنا

حسناً : وكما أعرفك جيداً ، أشعر أنك ستوجه إلى مرة أخرى سؤالك الابدى : لماذا توقفنا ؟
المخاطب (وهو يشعر بالحرج)

أوه ، عفوا :

السيد أنا (وهو يهون عليه)

كلا ، كلا لا تعتذر : بل هنئ نفسك هنئ نفسك على مثابرتك وعلى حصافتك : لان القضية
تكمن هنا . القضية الكبرى :
وهل تهرف بم سأجيبك ؟

المخاطب (كأنه تلميذ فوجئ بسؤال لا يتوقعه)

من ؟ أنا ؟ كلا ، كلا :

السيد أنا

سأجيبك بأننى لا أعرف لماذا توقفنا . لا أعرف السبب : (ثم باهتمام مفاجئ) ألا تشعر بالخوف ؟

المخاطب (معترضا بشدة)

أوه : كلا : كلا ، كلا ، كلا :

السيد أنا (مواصلًا)

أقول ، لا أعرف لماذا توقفنا ، ولكن أنظر ، هذا بالذات ما توقفنا من أجله .

المخاطب (محملًا بعينيه وهو فى قمة الاندهاش)

أوف :

السيد أنا

معنى ذلك أن فى هذه المرحلة من رحلتنا كانت توجد عقبة : شئ يصعب شرحه ، شئ يصعب التغلب عليه ، شئ كثيف سميك اصطدمنا به .

المخاطب (بطريقة تتم عن ذكاء)

بوم :

السيد أنا

حسنًا فعلنا . لقد اصطدمنا ، بالضبط ، بما كان يمنعنا من التقدم . ثم ان هذا العائق ، نحن لا نعرفه ، والامل ضعيف فى أن نتمكن من معرفته ... (كأنه يفيق من حلم) هيه ؟ ماذا ؟

المخاطب

ابدا ، لا شئ :

السيد أنا

كيف ؟ ظننت أنك تقول شيئًا ؟

المخاطب

من ؟ أنا ؟

السيد أنا

نعم ، أنت .

المخاطب

أنا ، لا .

السيد أنا

اذن ، ربما أنا . أجل ، أنا ، لأننى كنت أقول لنفسى ان حياتى شئ غريب .

المخاطب (بشفقة)

للأسف :

السيد أنا

نعم ، يوجد فى حياتى شئ غير مفهوم شئ غريب ، قد يكون شيئا عظيما ، وقد يكون شيئا فظيما . على أية حال ، هو شئ لا تعادل بينه وبينى ، ليس على مستوى . ومع ذلك فان حياتى كلها ، مفهوم ، حياتى كلها تعتمد عليه ، هو صلب حياتى .
(يصدر عن المخاطب صفير طويل يعبر عن ضخامة هذا الشئ) أفكر فيه فى أغلب الأوقات ، وفى كل مرة أشعر بالخوف ، لأننى لا أستطيع حتى أن احس طبيعته أو أتخيل كنهه : قد يكون ذكرى سيئة ، حادث غريب عنى ومع ذلك فهو يجثم على ظهري كأنه عبء أو حمل شخصى . لعله كان لحظة جنون تسربت الى داخل عقلى أو لعله شساعة لا شئ فى وسط كيانى .

المخاطب

أوه : أوه :

السيد أنا

ان خواطرك وانطباعتك تدل دلالة فائقة على الاهتمام الذى توليه لشخصى .
انك بحق سند كبير لى .

المخاطب (بتواضع مفتعل)

ايه :

السيد أنا

فعلا : لا تعارضنى : على أية حال ، أنت صاحبتنى بالتمام والكمال حتى هنا ، هذا شئ لا خلاف فيه . واذا كنا قد توقفنا ، فمن المؤكد أن الذنب ليس ذنبك

المخاطب

آه كلا :

السيد أنا

بل اننى أكاد أعتقد ، أن الذى أوقفنا هو هذا الشئ ، هذا الشئ نفسه الذى لا يتغير . ما رأيك ؟

السيد أنا

اذن ، ربما أنا . أجل ، أنا ، لأننى كنت أقول لنفسى ان حياتى شئ غريب .

المخاطب (بشفقة)

للأسف :

السيد أنا

نعم ، يوجد فى حياتى شئ غير مفهوم شئ غريب ، قد يكون شيئا عظيما ، وقد يكون شيئا فظيما . على أية حال ، هو شئ لا تعادل بينه وبينى ، ليس على مستوى . ومع ذلك فان حياتى كلها ، مفهوم ، حياتى كلها تعتمد عليه ، هو صلب حياتى .
(يصدر عن المخاطب صفير طويل يعبر عن ضخامة هذا الشئ) أفكر فيه فى أغلب الأوقات ، وفى كل مرة أشعر بالخوف ، لأننى لا أستطيع حتى أن احس طبيعته أو أتخيل كنهه : قد يكون ذكرى سيئة ، حادث غريب عنى ومع ذلك فهو يجثم على ظهري كأنه عبء أو حمل شخصى . لعله كان لحظة جنون تسربت الى داخل عقلى أو لعله شساعة لا شئ فى وسط كيانى .

المخاطب

أوه : أوه :

السيد أنا

ان خواطرك وانطباعتك تدل دلالة فائقة على الاهتمام الذى توليه لشخصى .
انك بحق سند كبير لى .

المخاطب (بتواضع مفتعل)

ايه :

السيد أنا

فعلا : لا تعارضنى : على أية حال ، أنت صاحبتنى بالتمام والكمال حتى هنا ، هذا شئ لا خلاف فيه . واذا كنا قد توقفنا ، فمن المؤكد أن الذنب ليس ذنبك

المخاطب

آه كلا :

السيد أنا

بل اننى أكاد أعتقد ، أن الذى أوقفنا هو هذا الشئ ، هذا الشئ نفسه الذى لا يتغير . ما رأيك ؟

السيد أنا (فى صفاء)
وحقيبتى فوق ظهري ، أستطيع بعد ذلك أن أواصل سيرى :
المخاطب (فى قمة السعادة)
عظيم : هائل :

السيد أنا (وقد عاد الى الجد)
على فكرة ، انها لراحة كبرى أن تستطيع تطويق ما يهددك . أنا أقصد التطويق بالفكر
بمجرد صورة ، وربما بحركة لا ألقى بنفسى فى التهلكة : كيف أتمكن من ذلك ؟
ولكننى أقوم بتطويق أطرافها ، وحينما أتأكد أن جنونى ، مع جنون العالم ، مستقر فى عقلى
، حينما أسقط فى نظرى هذه السماء الكبرى الغامضة التى تختلط بظلماتى ، حينما تتشبث
حياتى بانقاذ رمادى ، حينئذ ألم جميع الصواعق فى خيط واحد مع جريمتى المجهولة فى
براءتى الملكية . وأنا راضيا ملء الجفون

المخاطب (بمجهود خارق)

وبعد ؟

السيد أنا (وقد أفاق من خضم التفكير)

هه ؟ ماذا ؟ ماذا تعنى بـ : وبعد ؟

المخاطب (مشيرا الى الطريق)

وبعد ، اذن ... نمضى ؟

السيد أنا

نعم ، نمضى ، كما يقولون ، نمضى عن العقبة نتملص منها . يوجد على مقربة من هنا ممر
. سندخل فيه بلا رهبة . ولكن ولا كلمة ، ولا صوت : ولنحذر الجرف والردم : صه ...
صه :

المخاطب (وقد وضع أصبعها فوق شفثيه)

صه : هس :

السيد أنا

صه : هس :

المخاطب

صه : هس : هس :

(يأخذ كل منهما مصباحه ويسيران على أطراف الاصابع وهما يلفان الواحد وراء الآخر)

باريس ١٩٥٠

ستارة

* * *

أوزوالد وزينايد أو التجنيمات

Oswald et Zénaïde ou Les Apartés

الشخص :

- أوزوالد : فى العشرين من عمره ، خطيب زينايد .
 - زينايد : فى العشرين من عمرها ، خطيبة أوزال .
 - السيد بوميشون : فى الستين من عمره ، والد زينايد .
- المذيع

المذيع (أمام الستارة المغلقة)

هذه المسرحية تعتمد إلى المبالغة في عرض أسلوب مسرحى قديم يعرف بالتجنيبات * .
فهى تعارض بطريقة كوميدية بين الضعف الذى يسم العبارات التى تتبادلها الشخص
« بصوت مسموع، وبين طغيان «التجنيبات» التى تقولها الشخصية على حدة .
(المذيع ينسحب . الستارة تفتح . المشهد يمثل حجرة إستقبال بورجوازية فى الريف عام
١٨٣٠ تقريباً . حينما تفتح الستارة ، تكون «زينايد» وحدها ، غارقة فى أفكار حزينة وهى
ترتب باقة من الزهور فى وعاء . يسمع طرق على الباب جهة اليمين) .

زينايد (بصوت مرتفع)

من هناك ؟ (فى تجنيبة) المهم ألا يكون «أزوالد» خطيبى ! فأنا لم أرتد الثوب الذى يحبه !
ولكن ما الفائدة ؟ بعد كل ما حدث !

* يعرف هذا الأسلوب أيضاً بالتحدث على حدة أو انفراد . ويكون ذلك حينما يتكلم الممثل فى حضور شخصية أخرى
حديثاً لا تسمعه هذه الشخصية لسبب أو لآخر . (المترجم) .

صوت أوزوالد (فى الخارج)

أنا أوزوالد !

زينايد (فى تجنيبة)

للأسف إنه هو ، إنه أوزوالد فعلا . (عاليا) أدخل يا أوزوالد (فى تجنيبة) هكذا حظى ! ماذا يمكن أن أقول له ؟ لا يمكننى بأية حال أن أخبره بالحقيقة المؤلمة .

(يدخل أوزوالد . يبقى لحظة عند العتبة ويتأمل زينايد متأثراً)

أوزوالد (عاليا)

آه زينايد ، زينايد ! (فى تجنيبة) ماذا أقول لها بعد ذلك ؟ إنها فى غاية الثقة والاطمئنان ! لا يمكن أن تواتينى القسوة لأعترف لها بالقرار الخطير الذى تم اتخاذه بدون علمها !

زينايد (متوجهه نحوه وبأسطة له يدها ليقبلها ، عاليا)

صباح الخير يا أوزوالد (فى تجنيبة ، فى حين يركع أوزوالد ويقبل يدها بحرارة) أمن الممكن أن يكون كل شئ قد إنتهى ! آه ! بينما يضغط على يدي بشفتيه ، يا ألهى ، لا تطل شقائى ، واجعل هذه الدقيقة التى تبدو لى كأنها قرن كامل ، تمر أسرع من طائر النورس فوق البحر الهائج .

أوزوالد (ناهضا ، بينما تسحب زينايد يدها فى رقة ، عاليا . بعمق)

صباح الخير يا زينايد ! (فى تجنيبة) آه ! هذه الحركة التلقائية الرائعة الأبلغ من أى خطبة مهما طالت ! لقد كنت دائما أحب السكون الذى تنتشره حولها : لكأنى بهذا السكون يضطرب بألفاظ سحرية لا تسمعها الأذن ، ولكن الروح تدرك معناها .

زينايد (عاليا ، برقة)

إجلس يا أوزوالد ! (فى تجنيبة) يصمت ، المسكين ! كأنى أسمع نبض قلبه المتلاحق ، على شاكلة قلبى . ومع كل فهو لا يعرف شيئا ومايزال مؤمنا بالرباط الذى يجمع بيننا .

(تجلس)

أوزوالد (جالسا على مسافة منها)

شكراً ، يا زينايد (فى تجنيبة) لعل هذا الكرسي قد أعد خصيصا من أجلى . البنت المسكينة كانت فى إنتظارى ولا يمكن أن تدرك سبب زيارتى .

(تسمع ساعة كنيسة القرية تدق خمس دقائق)

الساعة الآن الخامسة ! (فى تجنيبة) ولكن الليل قد غشى قلبى !

أوزوالد (عاليا ، بلهجة تريد أن تكون عادية)

آه فعلا ، الساعة الآن الخامسة (فى تجنيبة) بالنسبة لى ، هذا فجر المحكوم عليهم بالإعدام !

زينايد (عاليا)

لا يزال الوقت نهارا ! (فى تجنيبة ، بطريقة بلهاء كمن يردد بعض أمثلة النحو) ولكن نباتات العليق المتسلقة بدأت تغلق تويجاتها ، وجدتى تفضل زهر البازلاء الخضراء البرية ، والبستاني قام بترتيب أدواته .

أوزوالد (عاليا ، متنهدا)

إنه الربيع يا زينايد ! (فى تجنيبه ، بلهجة حزينة تشبه الهذيان) فى نصف الكرة الآخر ، الشتاء ! وفى الكنفو ، سكان القطب الشمالى يجتمعون حول طبقة جليد عائمة ! وفى الصين يذهب الألمان إلى الحانات لأحتساء البيرة ، أما فى كندا فإن الأسبان يرقصون رقصة السيجديلا .

زينايد (عاليا ، متنهده)

أجل ، الوقت نهارا (فى تجنيبة ، شاردة) هذا السكون يرهقنى . عصاة عمى كان لها قبضة ذهبية ، الماركيزة خرجت الساعة الخامسة ، عقلى يشرد ! هل ينبغى أن أقول له كل شئ ؟ أم ينبغى أن ألقى طاقيتى فوق الطواحين ؟

أوزوالد (عاليا برقة)

الوقت نهار . لقد سبق أن قلت ذلك يا زينايد (فى تجنيبة ، فى سورة) هاأنذا الآن شرسة فظة : نار وشيطان ، دماء وجحيم . الساحرات يذهبن إلى إجتماعهن ، القمر يركض فى الأشجار الشائكة ! هيا ، الهدوء ، الهدوء ! قد يكون الأفضل لى أن أصرح له بهذا السر الذى يخفئنى .

زينايد (فى تجنيبة)

لم أعد أطيق ذلك !

أوزوالد (فى تجنيبة)

شئ لا يطاق !

زيناييد (فى تجنيبة)

إنى أموت .

أوزوالد (فى تجنيبة)

أكاد أجن .

زيناييد وأوزوالد (فى تجنيبة معا ، فى قمة اليأس)

وا أسفاه ! إن أسرتى لا توافق على زواجنا .

(صمت طويل ، الساعة تدق ست دقائق)

زيناييد (عاليا)

ماذا قلت ؟

أوزوالد (عاليا)

أنا ؟ أبدا !

زيناييد (عاليا)

آه ! حسنا ! كنت أظن . . .

أوزوالد (عاليا)

يعنى . . .

زيناييد (عاليا)

ماذا ؟

أوزوالد (عاليا)

أوه ! لا شئ مهم !

زيناييد (عاليا)

ماذا إذن ؟

أوزوالد (عاليا)

لاشئ تقريبا .

زينايد (عاليا)

صحيح ؟

أوزوالد (عاليا)

نعم ، حقا ! ثم إننى سأكتب لك . (فى تجنيبة) ليت أن رسالتى لا تصل إلى غايتها ، ولا تخصب هاوية النسيان بينما أذهب إلى صحراء أستراليا بحثا عن كنز أقل قيمة من الذى يضيع منى .

زينايد (عاليا)

ربما أرد على رسالاتك ! (فى تجنيبة) ستكون الرسالة الأخيرة التى أوجهها إلى العالم قبل أن أدفن شبابى اليانس فى أحد الأديرة .

أوزوالد (بانفعال)

إلى اللقاء يا زينايد ، (فى تجنيبة) الخباز يعجن العجين ، والفارسة تمطى صهوة الجواء ، والملاح يضبط الشراع ، والمدخن تطلق الدخان ، والشمس ترسل أشعتها ، أما أنا فينبغى أن أودع الفتاه التى أحبها .

زينايد(عاليا ، والدموع فى صوتها)

إلى اللقاء يا أوزوالد ، (فى تجنيبة) لم أعد أدري كيف أفكر . لم أعد أدري ماذا أقول ، إننى أشبه ورقة الخريف التى تسقط ليلا فوق المستنقع !
(فى هذه اللحظة يفتح الباب فجأة . يدخل برجوازي ضخم البطن ، مهندس ، منفرج الأسارير . إنه السيد بوميشون) .

السيد بوميشون

آه ، يا أولادى ، آه ! لقد ضيظكما !

زينايد (فى تجنيبة مذعورة)

يا إلهى ، إنه أبى .

أوزوالد (فى تجنيبة)

الذى كان من المفروض أن يصبح حماى .

السيد بوميشون

هيا ! هيا ! لا تخافا . لن آكلكما . سبحان الله . . . فى مثل سنكما ، وفى مكانكما ، كان من المفروض أن تكونا قد أخذتمانى بالأحضان منذ فترة طويلة . . .

زينايد وأوزوالد (معا ، عاليا)

ولكن ، ما معنى هذا ؟ . . .

السيد بوميشون

معنى هذا ، يا عصافيرى الصغيرة ، معنى هذا يا كتاكيتى الصغيرة ، أنكما كنتما ضحية ملعوب لطيف ظريف ، معنى هذا أننى جئت الآن لأصلح كل شئ بالنيابة عن أمك يا عزيزتى زينايد ، وبالنيابة عن أبيك يا عزيزى أوزوالد . كنا قد قررنا أن نضع عواطفكما أمام الاختبار ، أن نمتحن مشاعركما . حينما ظننتما أنكما فقدتما كل شئ ، لقد أثبت لنا حزنكما أن حبكما المتبادل لم يكن من النوع الذى يشبه نار الهشيم التى تنطفئ بسرعة ، من تلك العواطف التى لا تعمر أكثر من يوم واحد ، من تلك . . . من تلك الأشياء التى لا تستمر طويلا والتى . . . ولكن ، ألا تقولان شيئا ؟ يا لكما من خرجين ! هل أصابكما الدهول !

زينايد (فى تجنيبة)

يا إلهى ! هل مثل هذه السعادة ممكنة ؟

أوزوالد (فى تجنيبة)

بارك الله اليوم الذى ولدت فيه جدة خطيبتى حماى .

السيد بوميشون

حسنا ! حسنا ! إننى أرى أن الإنفعال قد قطع أنفاسكما . أيها الخُرجان ! فى سنكما وفى مكانكما ، كان من المفروض أن تكونا قد عانقتانى ! المهم ، باختصار ، لن ألح عليكما . سأترككما للسعادة التى حلت عليكما . غدا سنتحدث عن حفل الزفاف . . . هذا إذا استعدتما القدرة على الكلام . هيا ! إلى اللقاد يا بلابلى الصغيرة ، إلى اللقاء يا سنانيرى الصغيرة . .

(يريت خد زينايد ، يدفع أوزوالد دفعة رقيقة وينصرف ضاحكا ، صمت ، زينايد وأوزوالد
يظلان واقفين متجاورين ، ثم :)

أوزوالد (عاليا ، بحرارة)

أيها الربيع ! يا شباب العام ! أيها الشباب يا ربيع الحياة ! (١)

زينايد (في تجنيبة)

ما هذه اللغة الغريبة ! أنا لا أفهم ما يقول . ولكن ثمة نبرة بهجة رجولية تشع في كلماته .
(عاليا) أوه ! من أكون لكى أكون قد رأيت ما رأيت ، لكى أرى ما أرى ! (٢)

أوزوالد (في تجنيبة)

ماذا تقول ؟ ما هذه اللغة الغريبة ؟ يا موسيقى الصوت الحبيب ! إن رخامتها تهز أوتار قلوبنا
حتى دون أن نفهم لألفاظها معنى . (عاليا) الساعة الآن الخامسة ، يا زينايد !

زينايد (في تجنيبة)

يا إلهى ! ها هو يخطئ مرة أخرى في تحديد الوقت . ولكن يجب أن أتعلم كيف لا أعارض
زوجى . (عاليا) نعم ، إنه المساء قد هبط يا أوزوالد !

أوزوالد (في تجنيبة)

يا إلهى ، كلا ، إن النهار ما يزال فى منتصفه ، ولكن لا ينبغي أن نعارض الزوجات بأية
حال (عاليا) ها أنت ذى قد أصبحت لى ، يا ملاكى العزيز ؟

زينايد (في تجنيبة)

خطأ آخر ، إنه هو الذى أصبح لى ، ولكن لا أهمية ! (عاليا) نعم ، ها نحن قد أصبحنا
لأنفسنا ، أنت وأنا !

(١) يقول هذه العبارات باللغة الإيطالية : O Primavera ! Gioventu' dell ' anno ! O Gioventu' ! Primavera della vita .

(٢) يقول هذه العبارة باللغة الإنجليزية : Who is me to have seen what I have seen ; to see what I see !

أوزوالد (فى تجنيبة)

لأنفسنا ، تقول لأنفسنا ! هى لى ، وأنا لها ، نحن لأنفسنا (عاليا) إلى الأبد ؟

زينايد (فى تجنيبة)

إلى الأبد (عاليا) مدى الحياة ؟

أوزوالد (فى تجنيبة)

حتى الموت .

ستارة

* * *

**كان هناك جمهور غفير فى القصر
أو**

المونولوجات

Il y avait foule au manoir

ou

LES MONOLOGUES

الشخص :

تحمل هذه المسرحية على أسلوب المونولوجات فى المسرح ، وتبرز ما يتسم به هذا الأسلوب من الإصطناع الذى قد يثير الضحك . لذلك فمع أن المسرحية تضم عدة شخص ، غير أننا لا نلتقى إلا بشخصية واحدة فقط فوق المنصة . وعلى ذلك فمن الممكن أن تؤدي المسرحية بواسطة ممثلين اثنين فقط ، رجل وامرأة يتقمصان بالتوالى وعلى وجه السرعة مختلف الأدوار ، وذلك بفضل استغلال الملابس وسحن الوجوه .

أدوار يقوم بها ممثل واحد :

- «دوبوا - دوبون» ، مخبر سرى .
- عامل الحجرة الأول ، نحيف ورشيق .
- عامل الحجرة الثانى، ضخمة وخبيث .

أدوار تقوم بها ممثلة واحدة :

البارونة ز . . .

- «ميس إيسيبه» ، إحدى مدعوات القصر صديقة البارون .
- عاملة الحجرة الأولى ، جميلة وأنيقة .
- عاملة الحجرة الثانية ، ضخمة وغليلة .

، مشهد يقع فى عام ١٨٨٠ تقريبا . المنظر يمثل حجرة عادية ، قاعة فى قصر ريفى . فى أقصى المنصة وعلى اليمين واليسار بابان كل منهما يؤدى إلى حجرة إستقبال . فى قاطوع اليمين بلاكار ضخم . تسمع من بعيد موسيقى فالس قديمة . يدخل «دوبوا - دوبون» . الموسيقى تتوقف بمجرد أن يبدأ فى الكلام .

«دوبوا - دوبون» (يرتدى سترة صوفية بمربعات ضخمة وعلى رأسه كاسكيت طراز إنجليزى . يمسك بيده غصن شجرة مورقا)

أقدم نفسى : أنا المخبر السرى «دوبوا» . مشهور باسم «دوبون» وذلك بسبب التشابه بينى وبين رجل الشرطة الانجليزى الشهير سميث . هذه بطاقتى : «دوبوا - دوبون» رجل ثقة وشك فى وقت واحد . يحصل على مفاتيح الألغاز والخزائن . يفسد العلاقات الزوجية ويصلحها ، حسب الطلب . بأسعار متواضعة .

أسباب وجودى هنا خفية طالما ... خفية ... ولكنكم ستعرفونها بعد قليل . لن اتحدث عنها أكثر من ذلك . وسألزم الصمت . هس !

يكفى أن أقول لكم إننا هنا فى إحدى أمسيات الربيع الجميله (يُنير الى غصن الشجرة) فى قصر البارون «ز» ... «زين» ، مثل «زير» و «زفير» ... (يضحك بصورة بلهاء) هس ! فهذا يمكن أن يضعك . على الطريق .

وكما يمكن ان يتناهى الى اسمائكم ، فالبارون وزوجته الفاتنه ينظمان هذا المساء حفلا راقصا رائعا . الحفل الآن على أشده . وهناك جمهور غفير فى القصر .

(يسمح فجأة موسيقى الفالس التى تبدأ على الفور تصاحبها الضحكات والصيحات ورنين الكؤوس . ثم يتوقف كل شئ على حين بفته) .

هل سمعتم ؟ شئ غريب ! إن ضجيج الحفل يتوقف فجأة حينما أتكلم . وحينما أسكت يعود الضجيج من جديد .

(بالفعل . بمجرد أن يسكت تعود ضوضاء الحفل ، ثم تتوقف)

أرايتم ؟ ...

(موجة من ضوضاء الحفل)

أسمعتم ؟ ...

(ضوضاء الحفل ...)

حينما اسكت ... (تسمع ضوضاء الحفل) ... تبدأ ... حينما ابدأ ، تصمت . شئ عجيب ! ولكن كفى كلاما ! أنا هنا لأداء مهمة خطيرة . شخص واحد يعرف من أكون . الآخرون جميعا يجهلون هويتى . إن لى هويات كثيرة ! أقصد أنهم يتصوروننى شخصاً آخر . الجريمة . لأن هناك جريمة ستقع . لم يتم ارتكابها بعد . ومع ذلك ، وهذا شئ غريب ، فأنا المخبر ، هاأنذا موجود فى المكان الذى من المفروض أن تقع فيه الجريمة ! ... لماذا ؟ ستعرفون ذلك فيما بعد .

سأختفى لحظة عن الانظار ، لكى أختلط بجمهور المدعويين الرائع دون أن يعرفونى . كم من الجواهر والأحجار الكريمة ! والشموع والحراير والباروكات ! ولكن هناك شخص قادم ! ... هس ... سأختفى . قبل أن يرانى ويعرفنى .

(يخرج من جهة اليمين ، على اطراف اصابعه ، وأصبعه فوق شفثيه . بمجرد خروجه . يفتح باب اليسار لتدخل منه البارونه ، ز ، ... الفاتنة .. فى ثياب السهرة .

البارونة ، ز ، ...

أنا البارونة ز .. الفاتنة . أجمل نساء المدينة . الجميع يحسدوننى ويتقربون منى ويتملقوننى . انظروا إلى ثوب السهرة هذا الذى ارتديه على شكل النعامة الأفريقيه بهذه الكروشيهات المطرزة ، وهذا الكورساج من اللانوليه المسنن . وجواهرى ، جواهرجى المشهورة فى

المنطقة كلها . هذا العقد الفريد المتألى . وهذه السلسلة طراز لويس السادس عشر ، ليست أجمل ما فى الوجود ؟

(مكتلة فجأة)

ذلك هو سبب حزنى لهجران زوجى لى . انه لا يفكر الا فى الصيد . فى الصيف ، يقضى الساعات الطويلة فى طين المستنقعات فى انتظار خروج حيوان برى . وفى الخريف يركض وراء الخراف المتوحشة . تلك هى هواياته المفضلة التى يقضى فيها أوقات فراغه .

(تتنهد)

ومع كل ، فأنا هنا بعيدة عن صديقات الطفولة ، أشعر بالضيق هنا فى هذا القصر البارونى ، فأنا لا أحب اللعب ولا الموسيقى ولا القراءة . اننى أشعر بالضيق . أو بمعنى أصح شعرت به حينما فكر البارون على حين فجأة فى أن ينظم هنا حفلا راقصا ! حفل راقص ! يقيمه هو ، الصياد . حفل راقص فى هذه المنطقة المعزولة ! كانت فكرة غريبة ! مازلت مذهولة منها - ومفتونة أيضا . لأنه ينبغى أن اعترف بالحقيقه الواضحة : هذه أجمل سهرة فى حياتى ، الحفل على أشده وهناك جمهور غفير فى القصر ! هيا ، فلأسرع إلى القاعة الكبرى لكى أهتم بالمدعوين ! يا الله ، ما أجمل هذا اللهو .

(تخرج من حيث دخلت . من جديد تسمع موسيقى الحفل . على حين فجأة ، يسمع صرخة حادة ، صرخة امرأة تطفى على ضوضاء الحفل التى تتوقف على الفور . باب اليسار يفتح فجأة) .

عاملة الحجرة الأولى (تدخل من اليسار . رشيقه وجميلة)

أنا عاملة الحجرة الأولى . كان البارون يغالبنى أحيانا . كان يحب لون شعرى ! . . . ولكن لماذا أتحدث عن كل ذلك ؟ . . . البارونة تشعر بتوعك . فلأسرع إليها ببعض النشادر وبأحد الأطباء .

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الأول (يدخل من اليمين ، يرتدى شرابا أبيض ، قفازا أبيض ، شعرا مستعارا ، شاب ومتكلف)

ياله من حداد لنا جميعا ! أمن المعقول أن يحدث مثل هذا ! مساء حفل راقص ! وأنا الذى

كنت أحب سيدى حبا كثيرا ! آه ، نسيت أن أخبركم بأننى عامل الحجرة الأول ! الأول !
وظيفة فخريه .

(يخرج من جهة اليسار)

عاملة الحجرة الثانية (تدخل من جهة اليسار . ريفية ممثلة ، تتحدث بغلظة)
أنا ، جوليا ، عاملة الحجرة الثانية . كما أشرف على المطبخ . سيدى المسكين كان يحب أن
يوجه إلى بعض عبارات الغزل فى بعض الأركان ! . . كل ذلك ، بسبب سيدتى ، هى
المخطئة . فهى لا تحب الصيد . ولا تحب أكل الحيوانات والطيور التى يصطادها سيدى
ببندقيته ، وعلى ذلك فقد سار سيدى فى ذلك الطريق .

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الثانى (يدخل من جهة اليمين ، يعرج . له شوارب وسوالف) .
قد لا أكون سوى عامل الحجرة الثانى فى القصر . ليكن . ومع ذلك فأنا أعرف عن هذا
القصر أكثر مما يعرف الكثيرون ! منذ فترة طويلة وأنا أشك فى شئ معين . وهذه هى
النتيجة ، لم أحاول أن أخبر أحداً بأى شئ ! ولذلك لم يعرف أحد أى شئ .

(يخرج من جهة اليسار)

مس' إسيبيه (تدخل من جهة اليمين شابة جميلة تتكلم بنبرة أمريكية واضحة) .
أنا سيدة الأقدار فى هذا القصر . يسموننى مس' إسيبيه . إننى أحبه ، أعبدته بخزائنه
وقمصانه ! . . . فلأتظاهر بإنقاذ البارونه ! ولكننى سرعان ما أركب القطار . وفى إنتظار
ذلك لنبحث عن الملح والخل !

دوبوا - دوبون (آتيا من جهة اليمين ، فى ثياب السهرة ويمسك فى يده قبعة)

الموضوع يتعمد والسر يزداد غموضا ! . . . بفضل تدبيرى الشيطانى . البارونة (ز ، .. تلقت
وهى فى قمة الحفل الراقص خبر موت زوجها . هل هى جريمة ؟ هل هو إنتحار ؟ إن
جمهور المدعوين الذى ما يزال يملأ قاعات القصر يتساءل . يحاول أن يحصل على إجابات
لهذه الأسئلة وهو يشعر بالجزع والحزن . اسمعوا ! . . .

(من خلال الباب الذى ترك مفتوحا . تسمع أصوات مختلفة تتساءل)

جريمة ؟ . . . إنتحار ؟ . . . كلا ، من غير المعقول ! مستحيل ! . . . لقد انتحر . . . كلا

، كلا . . . بلى ! . . . أهو انتحار ؟ . . . جريمة بكل تأكيد ! إذن فلنبحث عن القاتل !

دوبوا - دويون (وهو يفرك يديه راضيا مسرورا)

عظيم ! هائل ! ها هي ذى العملية تسير فى الطريق المرسوم ! . . . ولكن هناك شخصاً قادماً ! . . . بسرعة ! يجب أن نختفى فى دهاليز هذا القصر المتعرجة المتربة ، هذا القصر الذى نعرف مخارجه السرية بكل دقة .

(يختفى جهة اليمين)

مِسْ ايسيبيه (تظهر من جديد من ناحية اليسار تمسك بيدها كتابا) .

لقد نشرت الملح والخل فى صدر الوصيفة لكى تدغدغ خياشيم البارونة . ثم (مشيرة إلى الكتاب) أخذت دليل السكك البخارية . مادام الموت قد نجح «أجزاكتلى» وبوسعى أن أرحل وأنل مطمئنة . لن يظل حبيبي مزروعاً فترة طويلة على رصيف المحطة .

(يسمع ركض جواد يبتعد)

ها هو ذا الجواد الذى يحمله ! عاش السمور ذو الوبر الطويل الذى يرعى فى ولاية أو كلاهوما !

(تخرج من جهة اليمين)

عامل الحجرة الأول (داخلا من جهة اليمين)

هذه الأنسة الأمريكية نوع سئ من النساء . للأسف ! كان سيدى يضعف أمامها ! كانت تأتى دائما فتمسح به ، باللفظاعة ! وأنا ، كان على دائما أن أنفض تراب الأرز الذى كانت تتركه فوق ملابس سيدى . خسارة ! سيد لطيف كهذا !

(يخرج من جهة اليسار) .

عاملة الحجرة الثانية (داخلة من جهة اليمين . تحمل ملاحه ووعاء خل)

ماذا تريد منى أن أصنع بهذه الملاحه وهذه الخلالة ، تلك الحيوانة البليدة ؟ تريد أن تحمّس ! بوزها الصغير لا أحبه ! ولكن لىكم أن تصدقونى إذا شئتم ، ولكننى لا أصدق كلمة واحدة فى هذه القصة . سيدى طريح ميت فى الحديقة .

هو الذى كان يفيض حياة قبل ساعة واحدة . شئ عجيب ! ثم من الذى شاهدها . . . الجثّه

طفل صغير كان يتسكع هناك ، لا أحد يدرى لماذا . خاف حينما شاهد رجلا مطروحا على الأرض من يدرى ؟ ربما كان أحد المدعوين خرج يتنسم الهواء البارد . ثم ما قصة هذه القبة المحشورة فى رأسه ؟ هل هذه طريقة نقتل بها إنسانا ؟ أو حتى ننتحر بها ! شئ عجيب !

(تخرج من جهة اليسار وهى تهز كتفيها إستخفافا)

عامل الحجرة الثانى (داخلا من جهة اليسار)

أنا لا أفهم شيئا من أى شئ حينما لا يكون هناك أى شئ . ولكن حينما يكون هناك شئ ما ، حينئذ فإننى أفهم . كل ما هناك أنكم قد تظنون أننى سأخبركم بما أعرف ؟ كلا ، ثم كلا . لن أخبركم بأى شئ ، بأى شئ . بأى شئ .

(يخرج من جهة اليمين)

عاملة الحجرة الثانية (داخلة من جهة اليسار)

هل كنت أحلم ؟ حينما كنت ذاهبة لإحضار الطبيب ، خيل لى أننى شاهدت فى الممر المظلم خيال سيدى البارون يمر أمامى ! أو على أية حال شخص آخر يشبهه بصورة غريبة . رجل فى حلة يسير بحذاء الجدران ثم يختفى فى الفرش والستائر . شئ يبعث على الجنون ! يالها من ليلة ، يارى ، يالها من ليلة .

(تخرج من جهة اليمين . المنصة تخلو لحظة . الريح يأخذ فى الهبوب بشكل عنيف ويسمع هزيمه تحت الأبواب) .

البارونه دز . . . (داخلة من جهة اليسار وهى تتحدث إلى أشخاص فى الكواليس)

كلا ، شكراً دعونى ، أنا أشعر بتحسن ! أريد أن أبقي وحدى لحظة وأفكر فى هذه الأحداث الغريبة . (تغلق الباب) يالها من أمسية ! يالها من سلسلة من المفاجآت ! ذرة من السعادة والهناء تحطمت على أيدى القدر ! . . . ماكدت أشعر بالفرحة وسط جمهور المدعوين المتألق ، ماكدت أدور دورة أو دورتين فى رقصة الفالس ، حتى نزل على البخبر الفظيع نزول الصاعقة ، على لسان طفل برئ . آه ! سأظل أتذكر جو الفالس هذا ماحييت .

(يسمع لحن الفالس الذى سمع فى بداية الحفل ولكنه يكون خافتا كأنه حلم . ثم تسمع أصوات مختلفة تهمس قائلة : « جريمة ؟ انتحار ؟ جريمة ؟ انتحار ؟ » البارونة تحلم لحظة وهى تمسح دموعها ، ثم :))

ولكن كيف يمكن أن نفهم هذا كله ؟ فى الساعة العاشرة ، يزعم طفل صغير أنه لمح جثة زوجى بلا حراك مطروحة على أرض الحديقة وقبعته الضخمة محشورة بشكل غريب فى رأسه حتى ذقنه ! وفى العاشرة وخمس دقائق حينما أسرع الجميع إلى مكان الجريمة كانت الجثة قد أخفت ! أيا كان الأمر ، فإن زوجى لم يظهر مرة أخرى فى القصر . ولكن من له مصلحة فى قتله ، وهوبكم هذا الثراء وهذه الثقة ؟ ولماذا ينتحر وهو الذى يعشق الصيد ؟ ثم هل يجوز لى أن أثق فى كلام طفل شعر بالخوف ؟ إن هذه الألغاز تقتلنى ! إن رأسى المسكين يؤلمنى .

(طوال المنولوج الذى تلقى البارونه ، الريح أكثر عنفا . وعلى حين فجأة ، كأنما بفعل تيار هواء عنيف ، يفتح باب ، البلاكار ، بحيث يتسنى للشخص الموجود على المنصة أن تشاهد ما بداخله دون أن يتمكن المشاهدون من ذلك . البارونه الغارقة فى أفكارها ، تذرع المكان جيئة وذهابا ، فتجد نفسها فى مواجهة البلاكار المفتوح . تطلق صرخة حادة وتفر هاربة من جهة اليسار . على الفور تظهر عاملة الحجرة الثانية وهى تجرى من جهة اليمين)

عاملة الحجرة الثانية

من الذى صرخ هكذا ؟

(تلمح البلاكار وتطق صرخة رعب)

يا الهى ! الجثة !

(تفر هاربة من حيث جاءت وهى ترسم علامة الصليب . على الفور يظهر من جهة اليمين عامل الحجرة الأول) .

عامل الحجرة الأول

أوه ! للآ ! مشنوق ! ولكنه سيدى ! نعم ، انه سيدى المسكين ! النجدة ! النجدة !

ويختفى من حيث جاء)

عاملة الحجرة الأولى (آتية من اليمين)

يا للفوضى ! ماذا هناك أيضا ؟

(تلتفت فتشاهد البلاكار)

أوه ! يا للهول ! ... (تتمالك نفسها وتسترد وعيها) هذا مظهر له كل سمات الواقع ! هيا ،

قليلًا من الشجاعة ! فلأحاول أن أنظر نعم ، أجل ، أنا أقول إن هذا ليس سيدي البارون (بصوت تريد أن يكون مطمئنًا وهي ترفع ذراعها ناحية « الجثة » بطريقة مأساوية .) هذا شخص أراد أن يشبه سيدي البارون . ١ . ولكنه ليس سيدي البارون .

(تسمع صرخة حادة أخرى من بعيد)

هذه هي البارونة تمر بأزمة أعصاب حادة . ينبغي أن أحمل لها قليلًا من النوشادر . وأنا ، هل من أحد يشمّنى قليلًا من النوشادر !

(تخرج بشجاعة من جهة اليمين . المشهد يضل خاليًا لحظة . يسمع صراخ وأصوات أناس يتساءلون ، كما يسمع وقع أقدام . الريح تضاعف من شدتها ، وفجأة ، إذا بالجثة الجامدة الملفوفة وعلى رأسها القبعة المحشورة حتى الذقن ، تسقط من البلاكار ، ووجهها ناحية الأرض)

مس ليسيبويه (تظهر من جهة اليسار ، تجتاز المنصة بسرعة حتى جهة اليمين ، تخاطب الجثة)

لك شكرى وامتنانى ، أيها السيد الذى يجيد تمثيل جميع الأدوار . إن البارون الحقيقى الآن هناك بعيداً وسألقاه هذه الليلة فى ميناء بريست . أما أنت فستتسلم شيك من الحمام الزاجل . وداعا .

(تختفى من جهة اليمين على الفور ، الجثة ، تتلوى فوق الأرض وتحاول التخلص من أربطتها ، تنهض وتنزع القبعة التى تخفى وجهها ، فإذا بنا أمام « دويوا - دويون ، سعيدا .

« دويوا - دويون ، (وهو يعطس وينفض الأتربة عن ثيابه)

أوف ! لا يمكن أن نتصور كمية الأتربة المتراكمة داخل « بلاكار ، فى قصر قديم ، خاصة إذا كان متصلاً بسلم خفى لم يفتح منذ الحروب الصليبية ! سيعلمنى ذلك كيف أؤدى أدوار الأشباح .

خيرًا ! أوشرا ! فى الوقت الذى أنا اختنق فيه تحت قبعة الجريمة (أو الانتحار ، فلن يعرف أحد الحقيقة) فقد فر البارون هاربًا ولحقت به عشيقته المتآمرة الأمريكية .

جريمة أو انتحار ، لا يهم : أيا كان الأمر ، فإن الموت المفاجئ الذى أودى بحياة هذا البارون سوف يظل محفورا فى ذاكرة الجميع . إن البعض قد شاهد فعلا الجثة التى نقلت بطريقة خفية داخل « بلاكار » ، فى ليلة شؤم عاصفة . ماذا يلزم أكثر من ذلك لكى يبدأ البارون حياة جديدة فى أرض الله الواسعة خاصة وهو الوجيه الولهان ، العاشق للحرية ، لكى يصطاد كما يشاء السمور ذا الوبر الطويل الذى يرعى فى ولايه أو كلا هوما . تلك هى المكيدة التى حاكها البارون ليلوذ بالفرار إلى الأبد بصحبة « مس إيسيبه » ، حاملا معه سبائكه الذهبية فى حقيبة سفره تاركا وراءه أرملًا حزينة بلا سلوى .

والآن ، فلنلذ نحن أيضا بالفرار . لقد كسبنا المعركة ! ... بشرط أن يصلنى الشيك ! فأنا لا أثق كثيرا بالحمام الزاجل .

(يأخذ من البلاكار قميصه وكاسكتته المربعات ، يرتديهما ويختفى فى هدوء من جهة اليمين من الناحية نفسها تظهر عاملة الحجرة الاولى)

عاملة الحجرة الأولى (وقد لمحت البلاكار فارغا)

شئ طبيعى ! البلاكار فارغ ! هذا ما كنت أتوقعة ! إنها جثة قوية الساقين ! لم يكن كل ذلك سوى مهزلة ساخرة ! آه ! ما أغبى البارونه إذ تصدق كل ذلك .

(تختف من جهة اليسار . المنصة تظل خالية لحظة . يسمع من جديد لحن الثاليس)

عاملة الحجرة الثانية (تظهر من جهة اليسار وهى توجه الحديث إلى شخص داخل الكواليس)

إيه ! سيدتى المسكينة ! تعالى من هنا ! لا تخافى ! سترين أنه لم يعد هناك بارون ولا جثة ! آه ! لابد وأن زوجك الآن بعيد ، بعيد . وفى أتم صحة وعافية . أوكد لك ذلك ! .. (موجهة الحديث إلى جمهور المشاهدين) يا الهى ! كنت أشك فى شئ معين ولكننى لم أحاول أن أقول أى شئ ، أى شئ .

(تخرج من جهة اليمين)

البارونة ز ... (وهى داخله من جهة اليسار وتجتاز المنصة فى كآبة ظاهرة)

كان ذلك يوم سعادتي الوحيد ! لقد تحطم إلى الأبد وغرق في خضم الأسرار والوحدة !
والأسفاه ! سأظل طول حياتي أتذكر هذه الأسية الراقصة ! ... في ذلك المساء ، كان هناك
جمهور غفير في القصر ! ...

(تختفى من جهة اليمين بينما يسمع لحن الفالس خافتا)

ستارة

* * *

هم وحدهم يعرفون الموضوع
Eux seuls le savent

الشخص

فيكتور ، في الخامسة والثلاثين
سيمون ، في الثلاثين
جويستان ، في الثامنة والعشرين
جانين ، في الواحدة والعشرين
المذبح

(المشهد يجرى فى حجرة استقبال بورجوازية . أريكة ، مقاعد وثيرة ، مكتب بأدراج تغطيه أوراق وأشياء مختلفة ، الخ . فى أقصى المنصة ، نافذة وباب .)

المذيع (أمام الستارة)

كان هناك كاتب شهير من كتاب القرن التاسع عشر- احتراماً لذكراه ، نتمسك بعدم ذكر اسمه - ترك بين أعماله التى نشرت بعد وفاته هذه الكوميديا التى سنقدمها إليكم بعد قليل . هذا الكتاب الكبير كان من عادته أن يقول إن من المستحسن بالنسبة للمشاهدين أن يتابعوا موضوع المسرحية دون أن يتوصلوا إلى ادراك الدوافع الحقيقية التى وراء هذا الموضوع . هل ذلك راجع الى عجز يتعلق بالفن المسرحى ؟

هل ذلك لأن حياة الآخرين ، على خشبة المسرح كما هى فى الواقع ، قلما تفضى إلينا بأسرارها ؟

هل ذلك لأن شخوص المسرحية - خاصة فى الأعمال التى نصفها « بالواقعية » ، يعتقدون أن من الضرورى أن يهتموا بشئونهم هم فقط ، دون الاهتمام بشئون المتفرجين ، وهو موقف يفتقر إلى الكياسة واللياقة ؟

وأخير ، هل يرجع ذلك إلى أن المؤلفين يسيلون استغلال وضعهم المتميز ويصرون على جعلنا فى حالة تعقيم وتعمية ؟

هذه قضايا كثيرة قد تثيرون بعضها أثناء مشاهدتكم أو استماعكم لمسرحية هم وحدهم يعرفون الموضوع ، ومن خلال محاولتكم إدراك ما يجرى خلالها .

(المذيع يختفى . الستارة تفتح . هيكتور وسيمون واقفان فى منتصف المنصة ، فريسة مناقشة حادة . هكتور يذرع المكان جيلة وذهابا فى توتر وعصبية . سيمون تتابعه بعينيهما وينظرات عدائية .

ستائر النافذة نصف مسدلة . الحجرة غارقة فى نور خافت)

هكتور

أؤكد لك أننى لن أقع بهذه السهولة .

سيمون

كلام يقال بسرعة !

هكتور

وهو فعل أسرع أيضا !

سيمون

انا اتحداك .

هكتور

هذا ما سنراه .

سيمون (تهز كتفيه استخفافا)

لو كنت مكانك لا نسحبت على الفور .

هكتور (قافزا)

أنسحب ، أنا ! بعد كل ما حدث ! أبدا ، هل تسمعين ، أبدا ! ... وأنت التى تقدمين لى هذه ... هذه النصيحة ... آه شكرا ، حقيقة !

سيمون

أحذرك للمرة الأخيرة : أنت تسير فى طريق مسدود . وسوف تندم ، أجل ستندم ، أؤكد لك .

هكتور

وأنا أؤكد لك أن الموضوع لن يقف عند هذا الحد ! والإهان كثيرا ! ... كثيرا فعلا ... كلا ، هذا غير معقول ! إن من يسمعك ، يعتقد أنك ضالعة فى الموضوع ! ... كلا ، ثم كلا . هل تريد أن أقول لك : أنت لا علاقة لك بالموضوع البتة ، البتة ، البتة . وليس من المطلوب منك إلا شئ واحد : أن تلزمى الصمت وتتركينى أتصرف وحدى .

سيمون

كلا ، لن ألزم الصمت . فأنا أعرف أنني على حق وأريد أن اجعلك تدعن للواقع وللحقيقة !
لا تحاول ...

هيكتر (غاضبا)

اسكتي ، من فضلك .

سيمون (مكلمة)

لا تحاول أن تفرض على السكوت . إنني شريك في الموضوع مثلك تماما .
هيكتر

كذب ! أنا أعرف ما ينبغي أن أقوم به .

سيمون

كلا ، أنت لا تعرف شيئا ! في حين أن من واجبي ، هل تسمع ، من واجبي أن أعرفك . أنا
أريد ألا يبقى أي شيء في الظل !

هيكتر

أنا أعرف ما أعرف .

سيمون (تهزكت فيها استخفاقا)

دائما ، هذه الكلمة في فمك ! وفي النهاية أيها البائس المسكين ، ماذا تنوي ان تفعل في هذا
الوضع الذي تردينا فيه ؟ أكرر لك أنك لا تعرف شيئا ، لا تعرف شيئا على الإطلاق .

هيكتر

هذا هو ما يخدعك : حينما أقول إنني أعرف ما أعرف ، فذلك أنني أعرف فعلا ما أعرف !
... على عكسك تماما . أما أنت ، فدائما أبدا

سيمون (بصوت كالصغير)

أكمل ، أكمل إذن ، أرجوك .

هيكتر

لا ، لن أقول ذلك ، فهذا منتهى الغباء !

سيمون (ساخرة)

لست أنا التي قلتها .

هيكتر (غاضبا على حين فجأة ومتخذًا قرارا)

آه ، حتى هنا وكفى ! كل شيء معك أصبح غير ممكن .

سيمون

فعلا ، كل شئ غير ممكن ، مما هو مستحيل . هذا على الأقل ، أنا واثقة منه . أرجوس الا يغضبك هذا . (هيكتور يتوجه ناحية الباب .) أرجو الا تذهب إلى هناك ، .

هيكتور (ويده على قبضة الباب)

ليس من المطلوب منى أن أقدم لك كشف حساب .

سيمون (وهى تمنعه من الخروج)

بالعكس . إنى أطالبك بأن تقدم لى تفسيراً . والان ! فوراً .. إلى أين أنت ذاهب ؟

(يبعدها بحركة عنيفة)

سيمون

إنه يعاملنى بغلظة الآن ! ... الوحش ! الصفيق ! الجلاد ! (هيكتور يخرج دون أن يقول كلمة ويصفق الباب خلفه . سيمون تبقى وحدها ، تذرع الحجرة جيلة وذهابا .. تمثل للهدوء شيئا فشيئا) هيا ! هدوءاً ! هدوءاً ! ما فائدة التوتر ! ... علينا بالتفكير ! ... واحد من اثنين : إما أن يختار الحل الأول ، واما ان يختار الحل الثانى . فى الحالة الاولى هناك أضرار بالغة ... وكذلك فى الحالة الثانية ... وبطبيعة الحال إذا تساوت الأضرار تساوت المصالح ... ومع ذلك ... لست أدرى ما الذى يقول لى إن ولكن لعل ذلك مجرد وهم لا أكثر ! ... إذا ذهب ... ولكن كلا ، كلا ، من غير المعقول . (جرس الباب يرن . سيمون تذهب وتفتح الباب . يدخل جوستان ، سيمون تتغير فى الحال وتصبح لطيفة) آه ! جوستان ! وصلت فى الوقت المناسب . كنت أنتظرك !

جوستان (مندهشا ولكن باسم)

ومع كل ، فلم أكن أنوى الحضور .

سيمون

أقصد أننى ... كنت آمل فى حضورك ... (فى ود) اجلس هنا بجوارى ... أريد نصيحتك : إننى فى حيرة فظيعة !

(يجلس فوق الأريكة)

جوستان (بعد أن جلس بجوارها)

والآن ... كيف حدث ذلك ؟

سيمون

هكذا بلا مقدمات . ثم خرج .

جوستان

آه ! لقد ذهب إلى هناك اذن ؟ هكذا كان ظنى ... الواقع ، لم يكن أمامه الا هذا الطريق .

سيمون

نعم ، ولكن لا شئ يؤكد لى أنه لن يعود .

جوستان

يعود ، هذا أيضا طريق آخر ... (بعد تردد ، بصوت خفيض) و ... هناك ، ؟

سيمون (تهزكتفيا)

هناك ، ؟ لم أعد أسمع أى كلام . يذهبون ويجيئون ، بين هذا وذاك ، ويتخذون القرارات الخطيرة ، ثم يترددون فى آخر لحظة وفى النهاية ، لم يتم شئ ... الحقيقة اننى أعتقد أنهم لا ينوون عمل شئ ذى بال ...

جوستان

كما هم دائما ! ومع ذلك فقد نصحتهم بالحدز . ولكنهم لم يأخذوا ذلك فى الاعتبار .

سيمون

يا صديقى المسكين ! أنت كنت واهما ! أما أنا ، فمع هؤلاء الناس ، بدأت أدرك كل ما ينبغى عمله ... اسمع ، إذا أقسمت لى على كتمان السر ، فسأريك شيئا يفيدك ... ولكن هل تعدنى بالأخبار أحدا بذلك ؟

جوستان

طبعاً !

سيمون

عدنى بذلك ، عدنى ؟

جوستان

عجبا يا عزيزتى سيمون ! ولكننى لن أخبر أحدا بذلك على الاطلاق . كيف تشكين فى كتمانى للسر ؟

سيمون

هذا صحيح ! سامحنى ! آه ، أنت بالنسبة لى مصدر عون كبير ! الانسان معك ، يستطيع أن يتحدث بصراحة ، فى وضوح النهار . (تنهض . تذهب لتحضر خطابا من أحد ادراج المكتب ، وتعود لتجلس بجوار جوستان . تقدم الخطاب لجوستان)
خذ ، خذ !

(جوستان يقرأ الخطاب فى صمت ويبعدو مذعورا)

سيمون (وهى تحاول أن تقرأ على وجهه)

هيه ؟ ماذا تقول فى ذلك ؟ أليس شيئا غريبا لا يمكن تصديقه ؟

جوستان

أوه ! ... هذا غير معقول ! ... كيف يمكن أن نصل الى هذا الحد ؟ ... الانسان لا يصدق عينيه !

سيمون

الآن أدركت لماذا أردت أن يبقى الموضوع سرا ! شئ كهذا ينبغى ألا يعلم به اى إنسان

جوستان

بكل تأكيد ، أى إنسان مهما كان ! بل أنت وانا نعتبر اكثر مما يجب أن يكون على علم بهذا الموضوع .

سيمون

أنت وأنا ... والذى كتب الخطاب .

جوستان

آه ، الذى كتبه ! لو وقع فى يدى ! ثم هناك غيره أيضا . هناك الآخرون ... (فى إعياء) ثم هناك ... من تعرفين !

سيمون (وهى تطلق تنهيدة)

أعرف هذا جيدا ! ... (فى اندفاع) جوستان ، عزيزى جوستان ، إلسى أين سيقودنا كل هذا ؟

جوستان (مقتربا)

عجبا يا سيمون ، أنت تعرفين جيدا ... طالما أنا هنا ، بجوارك ، قلن اتخلى عنك أبدا ! (يمسك يدها ، تستسلم ، متأثرة ... جوستان مكملا :) طالما هناك شعاع .. شعاع من الأمل ، فسأكافح بكل إخلاص وولاء حتى يعود كل شئ الى سابق عهده .

سيمون (حزينة)

يا عزيزى جوستان ! الماضى ، هو الماضى !

(تجهش بالبكاء)

جوستان (وهو يضغط على الكلمات)

يمكن أيضا أن يكون المستقبل ! ... (محاولا التخفيف عنها) هيه ! هيه !

يا صديقتي العزيزة ! لا تستسلمي لمثل هذه الحالات ! ما الفائدة ! ... ما دمت أقول لك إنني هنا !

(يداعب يدها فى رقّة)

سيمون (وهى تجفف دموعها)

هذا صحيح ! ... ينبغي أن تردد ذلك على مسمعى حتى أصدق .

جوستان

أجل ، أنا هنا ، كما ترين جيدا .

سيمون

جميل أن أعرف ذلك .

جوستان (وهو يترك يد سيمون)

والآن ، يا سيمون ، والآن وقد عرفت اننى هنا ... ينبغي أن أذهب .

سيمون

بهذه السرعة ؟ ولكننا لم نقل كل شئ .

جوستان

طبعاً ! ولكن يكفى أن اراك ، حتى أعرف الكثير ، أكثر مما تظنين .

سيمون

ربما ...

جوستان (جادا)

نعم . على أية حال ، أنت تعرفين ما جاء بى . وتعرفين ما يستبقينى ، ولكنك تعرفين أيضا ما يضطرنى للانصراف .

سيمون

هذا صحيح ... نسيت ذلك ... ولكنك ستكون قويا ، هل تعدنى بذلك ؟

جوستان

سأكون قويا ... من أجلك .

سيمون

يجب أن تكون قويا أيضا من أجل الآخرين ... من أجلها بالذات ! ... ولكن ينبغي ألا تنهز .

جوستان

لن أتهور . أعدك بذلك . سأكون قويا . ولكن حذار ...

سيمون

إذن ، لقد اطمأن قلبي . وبوسعى أن أتركك تنصرف .
(ينهضان . تصحبه في بطن إلى الباب)

جوستان (مهيبا)

سيمون ، لا أريد أن أنصرف دون ...
(يشير بيده إلى ركن من أركان الحجرة)

سيمون

لك ما تريد . هيا ! أنت تعرف الطريق .

جوستان

شكراً .

(يقبل يدها طويلاً ويخرج .)

(سيمون تجلس فوق الأريكة وتمكث لحظة حالمة .)

(بعد لحظة . يفتح الباب . تدخل جانين ، شاحبة جداً ، في ثوب البيت .
(روب دى شامبر) . تسير بصعوبة . سيمون حينما تراها ، تنتابها رجفة) .

سيمون

هل نهضت من الفراش ؟ هذا جنون .

جانين (بصوت ضعيف)

لماذا فعلت ذلك ؟

سيمون

أجيبنى أنت أولاً ! لماذا نهضت ؟ تعرفين جيداً أن الطبيب

جانين (بهدوء رهيب)

لماذا فعلت ذلك ؟

سيمون

ولكن ... لأنه كان ينبغي ذلك .

جانين

ألا تعرفين إذن أنه كان من الممكن أن تقتليني

سيمون

أنا لم أفكر إلا فى صحتك .

جانين

الاجابة الجميلة ... إليس هناك الا الجسم !

سيمون

الجسم أولا : الباقي يأتى بعد ذلك .

جانين (ساخرة)

انظروا معى إلى هذه السيدة المثالية !

سيمون

ثم ... إننى ظننت أن فى ذلك ما يسعدك .

جانين (وهى تنهار فوق احد الكراسى)

أكرر لك أنك كان من الممكن أن تقتلينى ! ... أنت إذن التى أرسلته إلى ؟

سيمون

كان ينبغى أن يراك .

جانين

دعك من ذلك ! أنت لم تفكرى إلا فيه . اعترفى بذلك . يجب أن تعترفى بذلك . الآن

يمكن أن يذهب فى هدوء . أما أنا فسأبقى مع هذه الذكرى .

سيمون

إذا كانت ذكرى ، فلم يتغير شئ : كانت لديك قبل رؤيته .

جانين (بقسوة)

لا تتلاعبى بالألفاظ ! نحن وحدنا وممكن أن نتحدث بلا دوران ، بوضوح ، وجهها لوجه !

.. وفى النهاية ، فى النهاية سأعرف كل شئ .. ربما أموت بسبب ذلك ، ولكن السر

سيكون قد انكشف .

سيمون

لن نعرفى شيئا .

جانين

قلت لك إننى ربما أموت بسبب ذلك . ولكن على الأقل . قبل أن أموت سأكون قد انتزعت

منك السر ! .. آه ، الجو هنا خانق ! ... كلام ، دائما كلام ، أما الحقيقة ، فلا . الحقيقة ، هل

تسمعين يا سيمون ، أنا أريد الحقيقة كاملة .

سيمون

ليس هناك سر ، والحقيقة ليست لك ولا لى . أنا لا أعرف شيئا . لقد سبق أن قلت لك ذلك !
... أيتها المجنونة المسكينة ! كيف أتمكن من مساعدتك على الفهم ، ما دمت أنا نفسى لا أفهم من الموضوع شيئا .

جانين (وهى تنهض بمجهود)

حسنا ! إذا كان الأمر كذلك فأنا أعرف ما بقى على أن أعمله .
(تتوجه بصعوبة نحو الباب)

سيمون (تنهض دفعة واحدة)

أما هذا فلا . لن تفعل ذلك .

جانين (بهدوء اليائسه)

هل تعرفين فقط ما أريد ان أفعله ! .. انا أيضا عندى سرى .

سيمون

لا أعرف شيئا ، ولكنى أخمن . أما هذا ، فلا ، هل تسمعين ! لا ! طالما أنا على قيد الحياة ، فسأعارض ذلك .

(المرأتان كل منهما تتفرس الأخرى لحظة فى عدوانية)

جانين

حسنا اذن بقى أمامى حل آخر .

(تستجمع كل طاقتها وتندفع نحو المكتب . وقبل أن تتمكن سيمون من منعها ، تخرج مسدسا) .

جانين (دون أن تصوب على أحد ، لكنها تحتفظ بالسلاح فى وضع الاستعداد)

إذا لم يستطع أى شئ أن ينتزع منك السر ، لا الإقناع ولا الحب ، فاعلمى على الأقل أن إحدانا ستخفى من الوجود قبل أن تغادر الأخرى هذه الحجرة

سيمون (تنقض على جانين وتحاول ان تستولى على المسدس)

أنت مجنونة ! أتركى هذا السلاح ! فوراً !

(يسمع رنين الهاتف . تتطلع كل منهما إلى الأخرى فى ذهول)

جانين

لا يمكن أن يكون إلا هو .

سيمون (بضحكة عصبية)

أوهى .

(تتجه إلى الهاتف ، ترفع السماعة وتنصت ، قلقة)

سيمون

نعم ... آلو ... نعم ، أنا ! (بصوت خفيض لجانين) هذا هو ... آلو ، ماذا تريد منى ؟ ...
ماذا ؟ .. هيه ؟ ... (وجهها يعبر فجزة عن دهشة تشوبها السعادة) هل أنا أسمعك جيدا ؟
... تقول إن .. كل شئ انتهى على ما يرام ؟ ... (بصوت خفيض لجانين) أعيدى هذا
المسدس بسرعة ! ... (جانين تطيع وتذهب فتضع المسدس فى درج المكتب) ... ولكن هذا
غير معقول ! ... آلو .. نعم ... لا ! ... بسبب سائق سيارة النقل ؟ ... مستحيل ! ... (وهى
تضع السماعة بصوت خفيض لجانين :) بسبب سائق سيارة النقل ! ... (ترفع السماعة من
جديد .) إذن ، تعال بسرعة ! ..

نعم نحن فى انتظارك . نعم ... جانين هنا ، بجوارى ... ماذا ؟ ... نعم ، كانت تشعر
بالضيق ، فسمحت لها بالنهوض لحظة ! ... لا ، الطفل بخير . تعال بسرعة !
(تضع السماعة تنهض وتعانق جانين)

سيمون

حبيبتي جانين ! انتهى كل شئ على ما يرام . سيأتيان هما الاثنان .
جانين (تكاد أن تبكى من الفرحه وتنهار فوق الأريكة)
عجبية ! ... ! ذن لماذا ؟ ...

سيمون

أسكتى ! اسكتى ! كل ذلك لن يصبح أكثر من ذكرى بغيضة . خذى ، لكى لا تفاجليهما ،
ضعى قليلا من المساحيق فوجهك يبدو شاحبا ، يا صغيرتى المسكينة ! (تقدم لها حقيبتها)
أسرعى ، فهما على وشك الوصول ! (جانين تسرع بوضع المسحوق على خديها والأحمر
على شفتيها فى حين تذرع سيمون الحجرة جيئة وذهابا وهى مضطربة ، ترتب بعض
الأشياء ، تذهب إلى النافذة ، تفتح الستائر . نور النهار يغمر الحجرة .
(يسمع جرس الباب سيمون تفتح . يدخل هيكتور ثم جويستان . تبدو عليهما السعادة .
جويستان يحمل باقة زهور وهيكتور يحمل لفافة)

هيكتر (وهو يندفع إلى أحضان سيمون)
عزيزتى سيمون ! حبيبتي ! ... من كان يصدق أن الأمور كانت ستسير في هذا الاتجاه !
... (يقدم لها اللقافة) خذي ! انظري ! لقد أحضرتها لك . !
سيمون (في قمة السعادة)

كيف وجدتها ؟

هيكتر

سأحكى لك الحكاية فيما بعد .

جوستان (وهو يقدم الباقة لجانين)
هذه لك يا جانين ! ... (في رقة) ... ألا يذكرك هذا بشئ ؟
جانين (وهي تأخذ الباقة ، متأثرة)

طبعاً ، طبعاً !

جوستان (وهو يأخذ جانين إلى جهة اليمين)
هذا سرنا ! ... تعالى ، يا جانين ! لا ينبغي أن يفهما !
هيكتر (وهو يزحف سيمون إلى جهة اليسار)
تعالى ! لا ينبغي أن نخبرهما ! ... ربما يفهما في يوم من الأيام .

ستارة

* * *

منتہی سورا الازہکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET